بتوقيت غاردينيا

معز نصر

2024

* تحتوي هذه الرواية على مزيج من الأحداث ما بين أحداث وقعت أثناء القصة وبين نتائج هذه الأحداث بعد انتهائها :

- المقدمة : وحي الخالة فاطمة 5
- الفصل الأول : الليلة الأولى 9
- الفصل الثاني : مزاجية الذاكرة 34
- الفصل الثالث : فسحة الأمل 67
- الفصل الأخير : قُبلة الوداع 110

في منتصف العام وفي الشهر السادس تحديداً بينما كنت أسكن في حي ساحلي إسمه "حي التلميذ " و كنا في الأيام الأولى من إجازة العام الدراسي للجامعات

وفي ذلك الوقت كان الناس جميعهم منشغلون بالحرب (الروسية - الأوكرانية) ولاسيرة لهم سوى سيرة الحرب ، حيث كانو يستيقظون مبكراً لمتابعة أخبار الحرب وأسعار السلع والأزمات الإقتصادية لكن أنا كنت أغرد خارج السرب وكان يشغلني همٌ آخر حيث كنت أستيقظ مبكراً لأُفكر بكِ وأتحدث معكِ وكنت دائماً ما استهزء بهم

و أقول لنفسي :

" لماذا هؤلاء الناس يشغلون أنفسهم بحربٍ لا ناقة لهم فيها ولا جمل "

وفي نفس الوقت أنا أيضاً كنت منشغلاً بحبٍ لا ناقة لي فيه ولا أمل لكن لم أكن أعلم ذلك ، وكنت دائماً ما أشفق على الحاجة فاطمة حيث تعودتُ أن أزورها في دكانتها الصغيرة في رأس شارع التلميذ و كانت تعمل بها في مجال الخياطة ، كنت أمُر عليها فأراها خائفة وكأَنَ طائرات الحرب فوق رأسها فأحاول إقناعها بأن الحرب بعيدة عنا لكنها لم تكن تقتنع وكانت دائماً ما تقول لي :

"إذا كانت الحرب بعيدة عنا لماذا يتحدث عنها الجميع هنا ولماذا الناس خائفون ، أنت كاذب " كنت دائماً ما أبتسم في وجهها أثناء حديثي معها وأحاول بث الطمأنينة في قلبها فهي تذكرني بجدتي ، وكانت دائماً قبل أن أغادر تقول لي

" انتظر قليلاً " ثم ترفع قطعة القماش التي على يمينها وتُخرج من تحتها قطعة من الحلوى وتعطيني إياها وتقول لي " هي من نصيبك "

كنت دائماً أبتسم وأقول في ذهني " لماذا لا أشرح للحاجة فاطمة ما أشعر به" وبعدها أتراجع وأقول " لكن ربما هي لا تريد سماع ذلك ، ربما هي لا تبالي بتفاصيل القصة ولديها ما يكفيها من مشاكل الحياة " فأكتفي بالنهاية بعبارة

" شكراً يا حاجة " لكن هذه المرة العمة فاطمة ألَحت على أن تعرف مني تفاصيل القصة العاطفية التي أعيشها لم تكن تلح لمعرفة ذلك من قبل ، كانت تمازحني وتقول " حب هذه الأيام حبٌ زجاجي ينكسر من أولِ ضربة أو أنكم أنتم جيلٌ من زجاج " لكن هذه المرة سألتني بجدية وقالت :

- ألا تزال حبيبتك معك؟

- نعم و أين ستذهب ، فهي قدري

- أتمنى أن تكون قدرك في السعادة وليس في المعاناة

ثم مازحتها وقلت :

- علاقتنا أقوى من القماشات التي تحُيكينها

- يالك من أحمق ، خسارة فيك قطعة الحلوى ألا تعلم بأن القماش الذي أحيكه أقوى من علاقتك بنفسك حتى

- هذا كان في البداية ربما لتُربين زبوناً

ضحكت بشدة ثم قالت :

- حدثني عن حبيبتك لأقول لك إذا كانت هذه العلاقة سوف تستمر أو لا

- ماذا أحدثك ؟

- هل تُفشي أسرار علاقتكما مثلاً ؟

- لا لم يحدث

- هل تكذب ؟

- لا فهي صادقة ولاتزال على فطرة الطفولة

- هل تعتذر عندما تُخطئ ؟

- نعم ، وأنا أحب هذه الصفة فيها

- ستعيش معها العمر إذاً ، وإن افترقتما سيكون الخلل منك وليس منها

ثم أكملت حياكة القماش الذي بيدها ، لكن أوقفتني جداً العبارة الأخيرة

ربما أنا كنت أعلم بذلك من داخلي لكن كنت أنتظر تأكيداً كهذا ، لقد مَسني ذلك الكلام كثيراً وفي نفس الوقت فرحتُ كثيراً أنني وجدت شخصاً موثوقاً

أروي له تلك التفاصيل التي تلتف حول عنقي ويضيق الخناق على عنقي كلما تثاقلت في صدري ، لكن من أين أبدأ الكلام محصورٌ بداخلي ولا أعرف كيف أبدأ ، اكتفيت بالإبتسامة وكلمة "وداعاً " ثم عدت إلى المنزل وكتبت على هاتفي ملاحظة (حديثي مع العمة فاطمة) وقلت في نفسي ربما يلزمني هذا الحديث في يوم من الأيام وبعد عامين من الفراق تذكرت ذلك الحوار الذي دار بيني وبين العمة فاطمة وعندما بدأتُ في كتابة الرواية قررت أن يكون هذا الحوار في مقدمتها و قررت أن لا أزور العمة فاطمة إلا وأنا أحمل بيدي روايةً أروي فيها ما حدث معي بعد الفراق تحت عنوان :

بتوقيت غارديني

الفصل الأول

في الأول اليوم الذي عرفتكِ فيه كان الجو ماطراً قليلاً وكنت لا أبالي بمن حولي ولم استشعر الأمطار التي تتساقط فوق رأسي كان عقلي معكِ ولم أكن أرى غيرك ، خطر لي حينها أن أركض نحوك وأتحدث معكِ ، لكن ماذا سأقول ؟

لقد خفت من ردة الفعل وخفت أن لا أكون منطقياً في حديثي معك ، وأبدو كطفلٍ صغير يركض خلف بائع الحلوة ولا يملك مالاً لشرائها ، حينها قررت أن لا أبالي كما أفعل في العادة وقلت لنفسي : هي ليست لي ، ثم تابعت المسير

وقررت أن أنسى أمرك تماماً ، كلما كنت أبتعد عنك كنت أستشعر الأمطار أكثر لا أدري إن كانت غزارة الأمطار تزداد أم أن الوعي كان يعود إلي تدريجياً

هذا شيء عادي بالنسبة لي لقد تجاوزته كثيراً من قبل ولم أجد عائقاً في ذلك

تعودت أن تكون الحلوى أمامي ولا آكل منها ،لكن عندما حل المساء كل شيء قد تغير كأنما كنت مُبنجاً وذهب مفعول البنج ، لا أدري ماذا حدث شعرت بأن هناك ثورة بداخلي ، شيءٌ ما يطالب بكِ ، لم أنم في تلك الليلة ، كنت أود لو أنني استطيع المجيء إليكِ في منتصف الليل وأقول مالم أقله لك في النهار

لم يسعفني صبري للإنتظار حتى الصباح ، نعم لدي مهمة في الصباح يجب أن أبحث عنكِ لا أريد أن أعيش ليلة كهذه الليلة مرة أخرى ، ثم قلت ولما أنتظر حتى الصباح ؟

سوف أُحاول الوصول إليها من خلال الفيس بوك أو الإنستا ربما أصل إليها لكني لم أكن أعرف اسمك ولا أي معلومة عنكِ مع ذلك حاولت بعدة طرق أن أصل إلى احدى حساباتك لكني لم أتمكن من الوصول إليكِ ، لم أكن أدري إن كانت هذه الفرصة التي لم أستغلها سوف تتكرر أو لا ، لكني طلبت من الله أن تتكرر وكان لدي شعور بأنها سوف تتكرر ، لم يخلق الله تلك العيون كي أراها مرة واحدة فقط .. سأراها مجدداً بلا شك ، عقدت النية على أراكِ

ونمت الساعة الخامسة صباحاً بتوقيتكِ ، رأيت في منامي بتلك الليلة بأننا التقينا هذا طبيعي لأنني كُنت أُفكر فيكِ طوال الليل لذا لم أُعطي هذا الحلم اهتماماً فغالباً ما تخدعنا الأحلام تعطينا الأمل ولا تتحقق ، اتجهت إلى مكان عملي وبدأت بممارسة عملي كالمعتاد كنت أقف خلف طاولة الحسابات وأستقبل طلبات الزبائن ، فجأة رأيتها تُقبل علي مبتسمة ترتدي معطفاً أبيض اللون .. وشعرها كان يتراقص فوق أكتافها ك شلالات آنجل ما هذا الملاك المقبل عليّ

نعم إنها هي الفتاة التي رأيتها في الأمس وسهرت طوال الليل من أجلها

لا أصدق ، يا ترى هل رأتني في الأمس ؟ هل تعرفني ؟ ماذا سأقول لها ؟

لقد قرأت في عينيها استغراباً من تعابير وجهي ولمعان عيوني ثم قالت لي :

- مرحبا

- أهلاً وسهلاً

- بخير "كررتُها أكثر من مرة"

- هل أنت جديد هنا ؟

- تقريباً .. أنا أعمل هنا منذ ستة أشهر ، هل أتيتي إلى هنا من قبل ؟

- نعم ، كنا نأتي إلى هنا بشكل مستمر عندما كنا نسكن في مكان قريب من هنا لا أدري لماذا خطر في بالنا أنا وأختي بأن نأتي إلى هنا اليوم

- قلت لنفسي "هذا بسبب دعائي بالأمس " أين هي أختك ؟

- تجلس هناك على الطاولة ، هل لازالت المشاريب كما هي يا ترى !

بدأت تنظر إلى قائمة الموجودات "المنيو" وأنا قمت باستغلال ذلك لكي أتأملها عن كثب

- هل هذا المشروب م ... ؟

- لقد رأيتكِ في الأمس هل رأيتني ؟

- ماذا ؟ أين رأيتني ؟

- رأيتك تقفين مع صديقتك في شارع القصر

- أجل ، هذه أختي وليس صديقتي ، لكني لم أراك

- ماهو اسمك ؟

- غارديينا

- أنا إنسانٌ محظوظ يا غارديينا

- لماذا ؟

- لقد رأيتك مرتين

رَفَعت رأسها وضحكت كثيراً حينها و هنا انتبهت بأنها كانت ترتدي سلسة من الفضة تكاد لا تُرى من شدة بياض عنقها ثم قالت :

- شكراً على هذه المجاملة المبالغ فيها

- أنا لا أُجامل ، ولم أقل ذلك لأكسبك كـ زبونة عندنا

- لماذا إذاً ؟

- لأكسب قلبك

إحمرّ وجهها قليلاً وقالت :

- سوف أذهب وأسأل اختي ماذا تريد ثم أعود لك

- لاعليكِ ، أنا سوف آتي بنفسي لأخذ طلباتكم

هنا بدأت أُفكر ماذا يدور بداخلها هل هي سعيدة أو مستاءة ، أنا أكره الإجابات الرمادية التي لاتنفي ولا تؤكد ، يجب أن أُلح أكثر في التعبير عن إعجابي لأعرف رأيها ، كنت أعرف أنني لن أطيق الصبر لـ ليلة أخرى فأنا قليل الصبر في طبعي ، ثم ذهبت إلى طاولتهن ومن حسن حظي أن اختها كانت مرحة وبشوشة ، لقد ذهبت الرهبة والتوتر عندما رأيتها وبدأ الحوار بين وبينها

- مرحبا

- اهلاً بك كنت أقول لأختي أن مظهر المكان تغير من الداخل متى حدثت هذه التغييرات !؟

- ربما قبل مجيئي ، منذ أن جئت والمكان هكذا

- هناك زبون ينتظرك ، لاتتعب نفسك أنا سوف آتي إليك لانريد إشغالك بنا

- لاعليكِ زميلي ذاهبٌ نحوه ، قالت لي أختك أنكم كنتم تسكنون هنا مع العائلة أليس كذلك ؟

- هذا صحيح ، لكن انتقلنا إلى منطقة أقرب ل مكان عمل والدي ، يبدو أنك طالب أنت أيضاً ؟

- نعم أنا طالب

هنا تكلمت هي أخيراً وقالت :

- هل للمحل صفحة على انستغرام ؟

- نعم بالتأكيد

- خذ هاتفي واكتبه لي من فضلك

لقد دخلت من حسابها إلى صفحة المحل فوجدت أنها تتابعه بالفعل ومن هنا فهمت أمران : الأول أنها بادلتني الإعجاب والآخر أنها لاتريد أن تُشعر أختها بعلاقتنا القادمة ، كتبت اسمي وارسلت لنفسي طلب متابعة وأنا في قمة السعادة

و من هنا بدأت الحكاية وتحولت إلى عاشقاً من جديد وعدت طفلاً لا تسعه الدنيا وكأن هذه المرة هي الأولى بالنسبة لي ، لقد فتحنا هذا الكتاب الجديد لنملأ صفحاته معاً ، و مررنا معاً بجميع مراحل الجنون التي يمر بها العشاق

بدأت مشاكل الحياة تبدو صغيرة والخلافات تتلاشى والجنون يصبح جزءاً ثابتاً في كياني ، بعد ليلة لم أنم فيها من القلق عشت ليلة لم أنم فيها من شدة السعادة لقد تحدثنا طوال الليل وبدأنا نجد الصفات المشتركة بيننا وأول ما عرفته أنها

تحب السهر مثلي وتحب الأغاني الطربية ، ومن القلائل في جيلنا الذين يحبون عشت معك مشاعراً مختلفة لم أعشها من قبل الشِعر ، ويحترمون الموسيقى

لكن ماذا عن التجارب السابقة ألم تكن حقيقية !

أم أن لذة هذه التجربة جعلتها تبدو كذلك ؟

كان ينطبق هذا على بيت شعرٍ لنزار قباني يقول :

" فأنا في الماضي لم أعشق بل كُنت أُمثل دور العشق "

وأنا أيضاً وصفت لقائي الأول معكِ بأبيات شعرية وقُلتُ فيها :

سألَتني كيفَ الحال بعد تبسُمٍ فتداخلت عندي الحقيقة بالخيالِ

كررتُ إني بخيرٍ عشرين مرةً و وقفتُ مُنتظِراً لتسألَ كيف حالي

بدأت مرحلة جديدة من حياتي ربما مسحت الكثير من ذاكرتي بقدومها

لم أعد أذكر لماذا كنت حزيناً قبلها ! وماذا كنت أنتظر لو لم تأتي هي ؟

بل كيف كنت أعيش من غيرها ؟ وكيف سأعود كما كنت لو ذَهَبَت !

كانت تستحق مني كل هذا الحب وكنتُ أستحق مكافئة مثل غارديينا

بعد هذا الكم من التجارب الفاشلة وبعد هذه السلسلة من خيبات الأمل .

اللقاء الأول بعد الإعتراف بالحب كان أشبه بلقاءٍ معتاد لم يكن يبدو بأنه الأول بالنسبة لنا ، حيث كان خالياً من الرهبة أو ربما نحن كنا أكثر جرأة و عفوية

ماذا سوف أردتني لهذا اللقاء وأنا قد كسوت نفسي بالحب قررت أن لا أُركز على مظهري الخارجي ، هذه اللقاءات تحتاج إلى الكلام النقي والقلوب الصادقة

ذهبت إلى المكان الموعود قبل الموعد ببضع دقائق حيث لم تكن وَصَلت بعد وجلستُ أفكر كيف ينبغي أن تراني حين تصل إلى هنا وبدأت أجرب وضعيات جلوس مختلفة ، وكأنني أول مرة أواعد فتاة في حياتي ! ثم قُلت لنفسي

ماهذه الحماقة التي أقوم بها هذه التفاصيل لا علاقة لها بالحب ولا تهتمُ العينَ

إن عشق الفؤاد ، ثم جائت وكانت في كامل أناقتها ، و حين جلست أمامي قلت لها :

- لما لا تجلسين بجواري ؟

ابتسمت وقالت :

- أنا بجوارك أينما جلست

- منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها قلتُ أنك لي

- تتلكلم وكأنني سيارة حديثة "بمزاح"

- لا أستطيع أن أصف مدى سعادتي بكِ

- وأنا أيضاً سعيدة ، أنت شابٌ لطيف

- لا زال يصعب عليّ تصديق تلك الصدفة التي جمعتني بكِ

- ربما هذا ما يسمى بالنصيب

- ما الذي جعلكِ تعطيني هاتفك في ذلك اليوم

- في الحقيقة لم تكن تعنيلي شيئاً بالبداية ، لكن عندما فكرت بك بجدية وجدت أنك ربما تكون الشخص الذي أتمناه

- أنتِ صادقة جداً هذه ميزة نادرة

- هل كان لديك علاقات سابقة ؟

- لا ، لم تدخل قلبي فتاة قبلك

هنا كنت كاذباً وصادقاً معاً ، كاذباً لأنني قلت لا لقد كان لي علاقات سابقة بالفعل ، وصدقت عندما قلت أنه لم تدخل قلبي فتاة قبلها ، ربما هي لم تُصدقني لكنها لاتريد تعكير صفو العلاقة منذ بدايتها وخلق بعض أجواء التوتر بيننا لقد اكتفت بالابتسامة وتغيير مجرى الحديث ، أما أنا فقد شعرت بالندم كيف أريدها أن تكون صادقةً معي وأنا كاذبٌ معها ، لماذا لانُقدر قيمة النعمة التي نحصل عليها ، لماذا تفقد الأشياء قيمتها عندما نمتلكها ؟

تابعنا الحديث وكانت تنظر إلى ساعتها كثيراً ربما تخشى أن يسرقها الوقت فيصبح اللقاء مُملاً أو أشبع منها فلا أنتظر اللقاء التالي بفارغ الصبر ، وكانت كلما وقعت عيني بعينها تحرف نظرها على الفور ، كانت خجولة لكن لاتريد أن يعرف أحد بأنها خجولة ، كانت تدعي الجرأة لكنها لم تكن من صفاتها أبداً مع أنها كانت تحاول أن تصبح جريئة لكن الطبع يغلب التطبع ، مع أن الخجل يجعل الفتاة أكثر جمالاً كانت تُصر على إخفاء خجلها ، وأنا الذي كنت أنتظر احمرار خديها بفارغ الصبر لقد كانت في حيرة من أمرها لاتريد أن تتحدث كثيراً فتزعجني ولا تريد أن تصمت فتصبح الجلسة مملة ، كانت تنتظر مني أن أبادر في كل شيء

حتى في الإبتسامة ، كانت تريد مراقبتي لمعرفة طباعي والتعامل معي

بالطريقة التي أحبها ، لقد كانت في منتهى الذكاء وسرعة البديهة ، كل شيء كان يسير على ما يرام إلى أن دق هاتفها تغير لون وجهها ولم تجب على المكالمة

سألتها حينها :

- من المتصل ؟

- لاعليك إنها أمي

- يجب أن تجيبي إذا كانت أمك

- لا أريد أن أكذب عليها ، إن رددت الان سأضطر أن أكذب

- تكذبين بماذا ؟

- بالطبع لن أقول لها أني خارجة معك

- لكنك ستكذبين عندما تعودين إلى البيت

- حينها سوف أجد ما أقوله ، لا يمكن التفاهم مع أمي على الهاتف

حينها قلت لنفسي وأخيراً هذه الفتاة التي ستقضي على الوسواس الذي كان يسكن رأسي آنذاك ، لأن الفتاة التي تكذب على أهلها من أجلي من الممكن أن تكذب عليَ من أجل شيءٍ آخر ، من تخون أهل بيتها الذين أضاعو عُمرهم في تربيتها ربما تخون زوجها في يوم من الأيام ، لكن هذه لم تكذب على أمها وتكمل جلستها معي بشكل طبيعي كأنما لم تفعل شيئاً ، على الأقل أنبها ضميرها وتغير لونها عندما رأت اسم أُمها على الهاتف من الواضح أنها غير معتادة على الكذب وهذه ميزة نادرة في الفتاة ، مكالمة أمها جعلتها غير مرتاحة في الجلسة لقد تغير مزاجها وطلبت المغادرة ، الجو كان بارداً فطلبت أن أوصلها إلى أقرب محطة مترو ل بيتها فوافقت ، خرجنا معاً إلى الشارع وكانت هذه أول مرة في حياتي أسير ببطئ فهذه ليست من طباعي على الإطلاق ولم أكن أُطيق فعل ذلك من قبل لكن لا أريد لهذا المشوار أن ينتهي كنت أريد أن أُطيل عُمر تلك اللحظات بقدر الإمكان، كانت تمسك يدي بقوة لدرجة أن أحد أظافرها غرس في لحمي وهي لم تشعر بشيء وأنا أيضاً لم أشعر حينها ، إلى أن وصلنا لأقرب محطة إلى بيتها تفارقنا هناك بعد أن عانقتني ، ودَعنا لقاء قديم و تَواعدنا بلقاءٍ جديد

عدت إلى بيتي وكنت في قمة السعادة ك عالم اثارٍ وَجَدَ كنزاً بعد سنوات من البحث والتنقيب كأن هذا الكنز هو مكافئة صبره طوال تلك السنوات لقد وجدت الفتاة التي أبحث عنها ، وجدت من يمكنني الوثوق بها أخيراً مع أنني كنت لا أزال أُعاني من عفار التجارب السابقة ودوامة الشك المظلمة لكن هذه المرة كان هناك صدفة لم أُخطط لها وهذا دليل على أن الله رتب كل الأسباب كي تتم هذه العلاقة والله لا يرتب الصدف إلا ليجبر القلوب .

في إحدى اللقاءات الأولى كادت أن تكون النهاية مبكرة جداً بعد أن فقدت غاردي أعصابها بسبب كثرة ملاحظاتي ومحاولتي في تغيير بعض طباعها

وفي هذه المرة كنا نمشي على أحد الأرصفة حيث كنا خارجين من المطعم قالت :

- لماذا أنت مستاءاً الآن ؟

- لأنه لا يجوز أن تدفعين الحساب عني وكأنني طفل

- ولماذا فقط يجوز أن تدفع أنت عني ؟ هل تراني أقل منك ؟

- هذه عاداتنا يا غاردي أنتي من أصول عربية وتعرفين ذلك

- أعرف ذلك ولكن لا يعجبني ذلك ، أنت تدعم المساواة بين الرجل والمرأة لا تكن ازدواجياً

- أنا لست ازدواجياً لكن لا أستطيع تغيير قيمي

- أنت تريد أن تغير قيمي من أجل ارضاء قيمك ؟ هل قيمك أهم من قيمي ؟

- وماهي قيمك ؟ أليست قيم عربية مثل قيمي ؟

- أجل لكنني لم أتمسك بها مثلك لأنني ولدت في مجتمع لا يتطلب تلك القيم

- لو كل انسان تخلى عن قيمه لما أصبح لأي شخصٍ هويةٍ أو قيمة

- لماذا تريد أن تغير كل شيءٍ بي في يوم واحد ؟ وإذا كنت ترى أنني أحتاج إلى هذا الكم من التغييرات لماذا أحببتني منذ البداية ؟

- ومن قال لكِ أنني أريد تغييرك ؟

- أنت تعترض على كل شيء أقوم به ، أصبحت أخاف من ردة فعلك كلما أوشكت على فعل شيء

- الإختلاف قد يكون بين إخوة في منزل واحد يا غاردي هذه ليست مشكلة

- لكنك جعلت منها مشكلة

- لم أجعل منها مشكلة بل جعلت منها موضوعاً للنقاش

- وإلى ماذا وصلنا

- إلى أن هذه آخر مرة تدفعين الحساب وأنا معك

- حسناً أقسم لك أن أطلب كل مافي المنيو في المرة القادمة وأورطك في حساب كبير لنرى ماذا ستفعل حينها

- سوف أرهنك عندهم وأغادر

ضحكنا في نهاية الخلاف كما جرت العادة وتحول الأمر إلى سخرية وضحك لكن في بداية العلاقة واجَهَت غاردي الكثير من الصعوبات معي وذلك ربما بسبب زحمة المقارانات وشبح العلاقات السابقة الذي كان يطاردني وليس بسبب القيم كما كانت تظن ، لكن التحجج بالقيم أسهل بكثيرٍ من أن أبوح لها بشيءٍ كهذا لذا كنت أقول لها دائماً دون أن أوضح لها المعنى ليتك أتيتي قبل الجميع ورأيتي الطاولة ، ليتك اتيتِ مبكراً ورأيتي كم كانت طاولتي جميلة في بداية الحفل ، لكن لن أقول بأنك وصلتِ متأخرة ولم تجدي إلا بقايا السابقين ، بل أنا تأخرت في اعداد طاولة جديدة وإزالة اثار السابقين ، لو لم تكونين ضيفة مفاجئة لقلبي لكنت فعلت ذلك قبل وصولك لكنك من القلائل الذين دخلو قلبي دون إذن مسبق وربما دون خروج ، وأنا أدعو الله أن لا تكونين كذلك فالحرب التي بداخلي لا تحتاج إلى مقاتلين جدد ضد قلبي .

أتذكر أيضاً ذاك الشعور المميز عندما قرأت قصيدة " تناقضات " لنزار قباني

حيث كنا في بداية العلاقة كيف أحببتها وحفظتها غيباً و لم أكن ادري حينها هل أحببتها لأن نزار قباني شاعر عبقري أم لأن أبياتها كانت تصفكِ انتِ !

حتى هذه القصيدة رجعت وقرأتها مجدداً مع أنني كنت أحفظُها غيباً ! تخيلي!

لم افعل ذلك بحثاً عن القصيدة وإنما بحثاً عن ذلك الشعور الذي شعرت به عندما قرأتها اول مرة أو ربما بحثاً عنك أنت أو بحثاً عن ذاتي ، أقسى أنواع الإشتياق عندما يشتاق الإنسان لنفسه ، وأصعب لحظات المنى عندما يتمنى المرء أن تعود الأيام التي كان حزيناً فيها ، وعودة الأشخاص الذين عانى منهم سابقاً ، لأن ما يعيشه الآن أصعب بكثير مما تمنى مضيه سابقاً .

في الإجازة الأسبوعية التي تليها اجتمعنا مجدداً لكن هذه المرة كان اللقاء في منزلي وكانت هذه المرة الأولى التي تزورني فيها غاردي في المنزل حيث كانت قد وعدتني بأن تأتي إلى منزلي وتطيخ لي بعض الأكلات الشرقية التي تعلمتها من والدتها وبالفعل أوفت بوعدها وجاءت إلى منزلي ، بمجرد أن فتحت لها الباب عانقتني ثم خلعت حذائها وأخَذَت تجوب في أرجاء المنزل وتنظر إلى كل تفاصيله وكأنها تبحث عن شيءٍ ما ، اكتشفت مؤخراً أنها كانت تبحث إذا ما كان هناك أثر لفتيات في المنزل أو لا ، وبعد أن عدنا وجلسنا في صالة المنزل قلت لها :

- لم تكوني تنظرين إلى جماليات المنزل ، عن ماذا بحثني ؟

- بلى كنت أنظر إلى المنزل

- حسناً ، ماذا يوجد على طاولة المطبخ ؟

ضحكت وقالت :

- هذا اختبارٌ مفاجئ

- قولي عن ماذا كنتي تبحثين ؟

- بصراحة ، كنت أبحث عن أثر ما يدل على أن هناك فتاة دخلت هذه الشقة من قبل ، لأنني لو سألتك لن تقول الحقيقة

- وهل وجدتي أثر كهذا ؟

- لو وجدت لما رأيتني جالسة بهذا الهدوء

- لم يكن هناك داعٍ لهذا لو سألتني كنت سأجيبك

- حسناً ها أنا أسألك ، هل دخل هذا المنزل فتيات من قبل ؟

- نعم لكن رفقة مجموعة لم تدخل فتاة بمفردها إلى هذا المنزل

- منزلك جميل بصراحة وموقعة جيد

- أجل ، لذلك إيجاره غالٍ ، ماذا ستطبخين لي ؟

- هل سوف تساعدني ؟

- لا لن أساعدك أنا متعب

- حسناً ، سنطلب إذاً من المطعم فأنا لا أجيد الطبخ

ثم هربت إلى الداخل وركضت خلفها لأعضها في يدها ، بكت قليلاً

إلى أن جعلتها تعضني هي أيضاً ، كانت توقفت عن البكاء مثل الأطفال تماماً

في ذاك اليوم سألتني سؤالاً لم أجب عليه حينها قالت :

- هل سوف تشكو مني غداً عندما يحدث بيننا خلافاً ما

- هل سمعتيني أشكو من أحد منذ أن عرفتيني ؟

- لا لم يحدث

صدقيني ولن يحدث لولا أنك أجمل رواية في حياتي و تستحق أن تُخلد

لما أخبرت أحداً عنك لقد تجرعتك وحدي وانعزلت فيكِ عن الكون كله

مثل طفل صغير فضل أن يخفي لعبته الجديدة على أن يتباهى بها أمام الآخرين ربما لأن المحيطين بي لم يكن يهمهم أمري أو لأنني كنت أشعر أنني العاشق الوحيد بينهم .. إنهم مساكين لا يعرفون العشق لذلك لن يفهمو كلامي لو تكلمت معهم عنكِ

لا أحد بينهم يُقدر قيمة الحب ، و أسوأ ما قد يمر به الإنسان يا غاردي

أن يعيش مع قوم يتحدثون لغة واحدة , لكن لا أحد يفهم الآخر

ويجب أن أعترف لكِ بأنكِ الكتاب الوحيد الذي وجدت أنه يستحق النشر

وأنني العاشق الوحيد الذي لم يكن يستحقك , فماذا عنك أنتِ ؟

لا عليكِ فأنا أعرف الإجابة , ومن يعرف الرواية أكثر ممن كتبها بيده ! .

..

وبعدها بثلاثة أسابيع جاء دوري و دخلت منزلها لأول مرة حين اجتمعنا ذات مساء أسفل المبنى الذي كانتِ تسكن فيه حيث كان أبويها مسافران في رحلة بغرض السياحة الدينية جلسنا على حافة سور صغير مقابل المبنى

وكانت تحمل خرزة زرقاء في يدها فسألتها يومها :

- غاردي من أين لك بهذه الخرزة ؟

- لقد كانت معلقة على باب منزلنا وعندما خرجت وقعت فأحضرتها معي كي لا أتأخر عليك ، عندما أعود سوف أقوم بتركيبها

- ومن وضعها على باب منزلكم ؟

- أمي ، لو عادت للبيت ولم تجدها ستغضب

- لماذا ؟

- لأنها تخاف من الحسد

- وهل هذه الخرزة البلاستيكية التافهة سوف تحميكم من الحسد ؟

- أمي تقول ذلك

- هل بيتكم ملك ؟

- لا إنه إيجار

- هل لديكم سيارة فارهة ؟

- لا إنها سيارة بسيطة

- هل تملكون مبالغ كبيرة في البنوك ؟

- لا ، لماذا تسأل ؟

- على ماذا سوف تحسدكم الناس إذاً ؟

- يجب أن تعلم أن جميع الذين يخافون من الحسد ليس لديهم ما يُحسَدون عليه

- جمالك هو الشيء الوحيد الذي يستحق أن تحسدون عليه ، ما عدا ذلك خرافات .

خجِلَت قليلاً ، ثم تابعت وقلت لها :

- ثم إن الله هو الذي يحمي وليس هذه الخرزة الحمقاء

- لقد حاولت كثيراً مع أمي لكنها لم تقتنع ، ماذا عن أمك أنت ؟

- أمي تخاف من كل شيء ليس فقط من الحسد ، هكذا هو قلب الأم

- هل حدثتها عني ؟

- لم أحدث أحداً عنكِ ، ولانية عندي لذلك

- لماذا ؟

- لأني أخاف من الحسد .

الخوف من الحسد كان عائداً على كلمة " أحد " أي أحد الناس وليس على أمي بالطبع ، فأنا ربما أخاف على أمي من حبيبتي لكن لا يحدث العكس , أمي ملاك لايؤذي أحداً ولايكره أحداً ، حتى الذين اذونا كثيراً لم تكن تستطيع كرههم أبداً

وبالنسبة للحسد والخوف منه فهذا شيء وهمي بالطبع لكن عندما يحب الإنسان يخشى على الشيء الذي يحبه من الزوال حتى من الأشياء التي لا يؤمن بها

كنت أنتظر فرصة مناسبة كي نتعانق ، كنت أتمنى أن تنقطع الكهرباء في ذلك الحي مثلاً أو تحاصرنا مجموعة من الكلاب الضالة ، لم أكن حينها أرى أن العناق حق من حقوق العاشق ، كنت أظنه شيء مرتبط بحدث طارئ ، وربما أيضاً نوعية الفتاة تفرض عليك أن تكون منطقياً أكثر في تصرفاتك ، لأنني كنت أعانق من قبلها متى شئت دون أن أحتاج إلى مبرر لفعل ذلك ، على ما يبدو أنه كلما ازدادت الجدية في الحب تزداد مساحة الحسابات و يزداد حجم الإنتباه

كنت اخشى من أي فعل قد يغير تفكيرها بي أو يهز ثقتها بي لم أكن أريد خسارتها ، لأول مرة في حياتي أخشى خسارة إنسان وأنا الذي كنت أفتح الباب على مصراعيه لمن يريد الخروج من حياتي ، لكن الحب يغير النفوس

عندما ازداد الجو برودة طلبت منها أن تصعد الى المنزل خوفاً من أن تمرض

واقترحت أن نلتقي في يوم اخر ، هنا وقعت هي في حيرة شديدة كانت تخشى أن ترفض المغادرة ، فيكون البرد والمرض حجة أستخدمها والحقيقة أنني مللت

وتخشى أن تذهب دون أن تطلب البقاء فأكون صادقاً بالفعل في طلبي ولم أمل من حديثي معها ، لذلك صمتت قليلاً وأنا كنت أعرف ما يدور برأسها ، ثم تأبطت ذراعي وقالت :

- إذا ...

قاطعتها ولم أدعها تكمل وقلت :

- إذا كان هذا السبب بالفعل ولم تمل مني لن أذهب ، أليس هذا ما سوف تقولينه ؟

ضحكت وقالت :

- لا ، كنت سأقول إذا كان البرد هو السبب الحقيقي لنجلس بداخل البناية ، أما إذا كنت قد مللت مني سوف أذهب ..

- سأبقى لكن سوف تمرضين بالفعل ، ليثبت الله لكِ بأني كنت صادقاً ولم أمل منك ، ولن أمل منك لو جلست معك طوال عمري

- ربما أنت من سوف تمرض لينتقم الله لي لأنك كذبت علي "بمزاح"

- هو أفضل شيءٍ ما قمتِ باقتراحه ، لنجلس بداخل البناية .

- لا ، سوف نصعد إلى المنزل أريدك أن ترى منزلنا

- وإخوتكِ ؟

- أختي تعرف بعلاقتنا وهي أصلاً نائمة ، وأخي الصغير أيضاً نائم .. لا تقلق

- هل أنتي واثقة من أن ذلك لن يسبب لك مشاكل ؟

- لا تقلق أنا واثقة

صعدنا إلى المنزل بحركة خفيفة خوفاً من إيقاظ الجيران ، عندما وصلنا إلى باب الشقة أعادت العين الزرقاء إلى مكانها كما وصتها أمها ، وفتحت الباب ودخلنا

ديكور المنزل خطف عيني على الفور إنه ملئ بالأشياء الأثرية والتاريخية ، يشبه مدخل المتاحف الأثرية ، وهناك لوحة أثرية تبدو باهضة الثمن ونمليةً فيها زجاجات فخارية وجوائز وشهادات مبروزة ، وأنا أعشق المقتنيات الأثرية والتاريخية ، لقد سرحت بكل قطعة أثاث في المنزل وكأنه منزل أحلامي الذي أريد تصميمه مستقبلاً ، ربما عقلية والدها تشبه عقليتي ، ربما يفكر مثلي

لكن مقتنيات المنزل لا تدل على أن أصحابه بسطاء ولا حتى من أصحاب الطبقة المتوسطة ، جلسنا على الأريكة التي تطل على الشارع العام وبدأت أسأل :

- كيف ليس لديكم أملاكاً ومنزلكم فيه كل هذه المقتنيات الثمينة ؟

- والدي مغرمٌ بشيئان : السفر والتحف الأثرية ، كان كلما ذهب إلى دولة يشتري منها شيءٌ أثري ويحتفظ به في المنزل

- لكن لم تجيبي على سؤالي ، هل والدك غني ؟

- كان غني في الماضي وهذه المقتنيات اخر ما تبقى من آثار الغنى

- ما الذي حدث ؟

- والدي كان يملتلك فندقاً في باريس وسلسلة مطاعمٍ هنا ، وعندما قرر أن يشتري فندقاً آخراً إحتالو عليه وخسر كل ما يملك وبقي عليه ديون مترتبة غير التي دفعها للشركة التي احتالت عليه فاضطر لبيع كل شيء ثم رفعت عليه شكاوي عديدة وتم الحجز على أملاكه ولم نعد نملك شيئاً ، هذا باختصار شديد دون الغوص في التفاصيل ..

لم يكن يلفتني شيئاً سوى نبرة صوتها التي تغيرت عندما بدأت بسرد القصة

ثم فهمت حالة أمها و عرفت أن أمها لا زالت مقتنعة بأنهم أغنياء وأنها لا تستطيع تصديق الواقع الذي فُرض عليهم ، إنه شيء يشبه المرض أو ربما هي على حافة الجنون ذُهلت جداً مما سمعته في تلك الليلة ولم أتوقف عن التفكير بذلك طوال

الليل ، لقد سيطر عليّ الفكر الطبقي ، ووضعت العديد من علامات الإستفهام خلف كل شيء حدث في هذه العلاقة ومن جهة أخرى كنت أقول أن هذه تدابير الله ليحدث ما حدث بيننا ولأرى ما رأيت في هذه التجربة

و مع أنني لم أظهر لها تأثري بحديثها ، لكنها شعرت بذلك وبدأت بتغيير مجرى الحوار وقالت وهي تقفل ستائر عينيها على لمعة الحسرة التي بداخلها :

- منزلنا أجمل من منزلك لكن موقع منزلك أجمل أليس كذلك ؟

- نعم هذا صحيح

حاولت أن أهون عليها الأمر واخرجها من هذا المزاج الشيء ، على الرغم من أن حساباتي تغيرت في تلك الليلة ، فماذا لو كانت لاتزال غنية عندما عرفتها في ذلك اليوم هل كانت سوف تقبل بحبي لها ؟!

كانت إجابة عقلي : لا و إجابة قلبي : نعم ، وأنا دائماً ما أصدق عقلي

كنت أجلس على سريري والهواء يداعب الستائر أمامي ليلهو فكري عن التفكير بكِ ، لم أكن أملك أدنى شك بأنكِ صادقة وبأن نيتك طيبة لكن الأفكار الطبقية تشغل بال الإنسان دائماً ، وخاصةً إذا كان هذا الإنسان قد تعرض للإستغلال والخداع من قبل ، من الطبيعي أن يشك بأن أي شيءٍ قادم

ربما يكون عبارة عن كذبة ، وبعد منتصف الليل وبعد تفكير عميق لم أجد ما يعبر عن حالتي سوى هذه الأبيات لنزار قباني :

وإني أُحبكِ

لكن أخاف التورط فيكِ

أخاف التوحد فيكِ

أخاف التقمص فيكِ

فقد علمتني التجارب أن أتجنب عشق النساء وموج البحار

أنا لا أناقش حبك .. فهو نهاري

ولست أناقش شمس النهار

أنا لا أناقش حبك

فهو يقرر في أي يوم سيأتي .. وفي أي يومٍ سيذهب

وهو يحدد وقت الحوار، وشكل الحوار .

أرسلت لها تلك الأبيات ونمت مطمئناً .. لا لقد نمت غير مطمئن

فلا اطمئنان مع العشق ، استيقظت في اليوم التالي وبمجرد أن فتحت عيني أمسكت هاتفي لأرى ردها فوجدت رسالة منها تقول فيها :

"بحثت عن اسم القصيدة فوجدت أن اسمها (أحبك والبقية تأتي) أرى أنه يلخص الكثير لنكتفي باسم القصيدة ولا داعي لأبياتها أنا أحبك والبقة تأتي " .

يبدو أنني كنت أبالغ في الخوف كلما بالغت في الحب وكنت أبالغ في عدم الإزعاج كلما بالغت في الإهتمام يبدو أن غاردي هي الوحيدة التي يحق لها أن تغيرني لأنها الوحيدة التي كانت تفهم تركيبتي العجيبة وكانت تعيد تنشيط الخلايا الشبه ميتة في قلبي كانت لا تترك بقعة مظلمة فيه إلا و تسلط الضوء عليها بعناية فائقة

كانت تعلم جيداً متى يجب أن تصمت ومتى يجب أن تتحدث فكانت تقرأ حالتي النفسية قبل أن أبدء الكلام وبناء عليه كانت تحدد شكل الحوار وطريقة الكلام

لم أرى الكثير من الفتيات لديهن ما لديها من صفات , ولا أعتقد أنها هي ستجد أيضاً من يشابهني في الصفات فأنا كتاب صعب بلغة غير مفهومة

لم يتعلم تلك اللغة أحد قبل غاردي ولن يتعلمها أحد بعد غاردي ، ببساطة

شديدة عندما تجد ما كنت تحبث عنه طوال حياتك ثم تفرط به لأي سبب كان ، لن يليق بك أن تكون سعيداً طوال حياتك .

الفصل الثاني

أعترف أن هناك الكثير من الأشياء فهمتها متأخراً , لكنك لستِ منهن لقد فهمتك مبكراً بل فهمتُكِ أكثر مما ينبغي , لكن هذه المرة انتي من تأخر في العودة على غير العادة وكانت النتيجة هو ما وصلنا إليه اليوم يا حبيبتي

و لعل كوني ممن لا يتقلبون بتقلب الظروف والأشخاص صَعَب عليَّ المهمة

وأنتي الوحيدة التي كنتي قد أيدتني في ذلك ، وأشكركِ أنكِ فعلتِ ذلك

كانو يقولون لي أنه من الغباء أن لا تجاري الناس على حسب قناعاتهم أو فكارهم

وأن الإنسان الذكي يستطيع أن يكسب قلب الجميع من خلال تقلبه الدائم

وأنك ربما تستطيع إيقاع أي فتاة في حبك من خلال تغيرك على هواها

وعلى حسب رغبتها , وكنت أقول لكن يا أصدقائي هذا هو الغباء بعينه

لأن من لم تحبك كما انت لا تستحق أن يكون لها مكان في قلبك , وأنه ليس من الضروري أن تكسب جميع القلوب , ربما تكسب قلباً واحداً يعادل كل قلوب الأرض , وها أنا أقولها اليوم بعد أن قضيت ما قضيت من الفراق

لقد كنت محقاً عندما رفضت أن أتغير من أجلك وإلا كنت خسرت نفسي

بعد أن خسرتك , وأنتي كنتي على حق أيضاً عندما فضلتي التعايش مع عيوبي على أن تطلبين مني تغيير نفسي أو إصلاح تلك العيوب التي كانت صغيرة جداً أمام هذا الكم الكبير من الحب .

في إحدى جلسات المنتصف حيث كنا نجلس في ذاك المكان المعتاد الذي تعود أن يتستر على العشاق وهم يمارسون جريمتهم المعتادة في المجتمع المحتضر تدعى " الحب " وكنا قد تقارينا إلى حدٍ كبير حيث تلاشت الحواجز الحمقاء كانت ترتدي ذاك الثوب الأسود الذي يزيد وجهها سطوعاً ويزيد عيناها عمقاً قالت دون أن تنظر لي وقد تعمدت ذلك كي لا أعرف مدى جديتها في السؤال

- لا تفعل شيئا يجبرني على الإبتعاد عنك فأنا لا أريد لا أريد أن أبتعد عنك

- شيء مثل ماذا ؟

- لا أدري , هي مجرد جملة أحببت أن أقولها لك

- أنتي لا تقولين كلام دون دافع أنا أعرفك

- دافع مثل ماذا ؟

- دافع أجرة الركاب

- من هو ؟

- زوج خالتك

في الواقع هي لم تكن مجرد جملة كما ادعت كانت لغماً قد ينفجر ان اقتربت منه وأنا حينها كنت أود معرفة ذلك الشيء كي أستخدمه وأجعلها تبتعد عني

كنت في تلك المرحلة قد وصلت لقناعة أن الإنفصال هو أفضل خدمة يمكن أن أقدمها لها كنت أريدها أن تقفز من قاربي المجهول خوفاً من أن تغرق معي

كنت أفضل الغرق وحيداً لكنها رفضت اعطائي سلاحاً قد أستخدمه ضدها

في يوم من الأيام ، توقعت أن تكون قد لامست هذه النوايا التي بداخلي لتقول ذلك الكلام أو ربما ظنت بأني أخونها فقالت ذلك لأتوقف عن خيانتي لها

ثم قالت بعد صمت طويل :

- إذا كان هناك موتٌ لابُد مِنه لنتقاسمه و نموت معاً

(وكأَنَ توقعي الأول كان صائباً)

- لا الموت لا يليق بِمِثلُكِ

- وأنت هل يليق بك ؟!

- لقد اعتاد الناس على غيابي يا حبيبتي ، لذا موتي لن يكون مُحزناً لأحد

أما انتي اعتاد الجميع على حضورك الجميل ولن تموتين وحيدة على أية حال ..

"نظرت إليَّ بصمت طويل وكانت عيناها تقول ليتني أقتحمك وأعرف كل ما يدور بداخلك .. ليتني استطيع قراءة عيناك دون أن أتوه بتفاصيلها الكثيرة "

بالطبع لم تكن تعني الموت حرفياً بل كانت تقصد بالموت "الفراق"

في تلك اللحظة أنا أيضاً أسأتُ الظن كما هي العادة وقلت لنفسي :

- لا أدري إن كانت فعلاً تخشى فراقي أم أنها تخشى على قلبها من جرح قادم .

ربما محاولة اقتحام نوايا الأخرين أصعب ابتلاء يمر به الإنسان ولا يوحي ذلك إلى أن هذا الإنسان مستقرٌ نفسياً فحتماً هناك حُطام تجربة ما يعيش بداخله وغالباً ما يزداد حطام هذه التجارب عندما يكون الإنسان كتوماً ، والأصعب من ذلك هو أن أمُرُ على ذكرياتي مثل ضيفٍ لا يطيق الجلوس طويلاً

ولا يقبل فكرة أن يصبح غريباً ، ليتكِ تَمُرين معي يوماً ما ونجلس غريبين معاً

لقد تحدثنا عن كل شيء إلا الأشياء التي أمر بها اليوم ، ربما نحن لم نكن نتوقعها

هناك أشياء لا يمكن تنبؤها مثل المنامات الليليلة مثل جنونك مثل دموعك

ومثل الزمان الذي جعلني أكتب عنك وأنتي غير موجودة في حياتي

مثل الأغاني التي كنت أسمعها لأجلكِ ولم أعد أسمعها الآن لأجلك أيضاً

أتذكُرين علاقتنا بأغاني فيروز كيف كانت ؟ أتذكرين عندما سافرت أول مرة ؟

كنتي كل يوم ترسلين لي أغنية " سألوني الناس عنك يا حبيبي "

وكنت أبتسم كلما سمعتها كنت أشعر بالسعادة على الرغم من أنني كنت أستشعِرُ بُكائك في مثل تلك اللحظات لكن كنت سعيداً ؛ لأن غيابي أثر بكِ لأن هذا أكد لي أنني مازلت موجوداً بداخلك ولم أُنسى بسهولة كما كنت أخشى

كنت أريدك أن تنسيني ولا أريد أن تنسيني أنتظر نسيانك لي ولا أريد قدومه

وعندما عدت من سفري كان أول لقاء لنا حينها في مطعم يطل على البحر

حينها دار بيننا حديث من الأحاديث التي تستحق أن تُذكر حيث قالت لي :

- ما أغرب هذه الدنيا !

- ماذا خطر ببالك ؟

- أتخيل لو أنني لم آتي إلى مكان عملك في ذاك اليوم أو لو أنني سمعت باسمك قبل أن أعرفك ، لما كان عنى لي شيئاً كما الآن

- لكن أنا كنت سأبحث عنكِ كثيراً وكنت سأُعاني كثيراً ساقكِ الله إلى ذلك المكان في ذلك اليوم كي يجنبني المعاناة

- لماذا برأيك ؟

- لأنني صادق

- أنت صادق في حبك لي أعرف ذلك ، لكنك لست صادقاً معي

- بماذا لم أصدق معكِ؟

- لم تصدق عندما قلت لي بأني الحب الأول في حياتك ولم تصدق عندما قلت لي بأنني أول من دخل قلبك كان هناك واحدة قبلي على الأقل ، هذا ما أنا متأكدة منه

- ولماذا لم تقولي هذا الشيء حينها !

- لأنني كنت أنتظر منك أن تراجع نفسك وتقول أنت ذلك لكنك لم تقُل

- لكنني لم أكذب أنا لم أقل أنني لم أعرف قبلك أنا قلت لم أعشق قبلك

- وماذا تُسمي التجارب السابقة ؟

- أُسميها تجارب سابقة ، لكن لم يكن حُب

- هذا يعني أنك لا تتأثر بغياب أحد بمجرد أن يخرج من حياتك تنساه وتنكر وجوده ؟

- هذا ليس بالمطلق ، أنا أقول أنني إلى الآن لم أتأثر بغياب أحد

- وربما لن تتأثر بغيابي لو حدث ذلك أليس هذا وارداً ؟

- عندما تغيبين سيظهر عمقك الحقيقي بداخلي ومدى حبي لكِ

- ألا يخطر على بالك أحد من السابقين نهائياً ؟

- بلى ، أنا لا أفقد الذاكرة لكن لم أعاني بسبب غياب أحد

- ربما أنت لا تمتلك ذاكرة مزاجية ، بل تتحكم في ذاكرتك

وهذه من التفاصيل التي تجلد عقارب الذاكرة ، اكتشفت لاحقاً بأنني أمتلك تلك الذاكرة المزاجية ولم أكن أعلم ذلك ، إن مزاجية الذاكرة إنها متعبة جداً لا أدري إن كان نفس الأمر بالنسبة لكِ ، أنساكِ لأسابيع وربما لأشهر وفجأة وبلا سابق إنذار تخلو ذاكرتي من الجميع ومن كل شيء ولا يبقى فيها سواكِ من المؤكد بالنسبة لي أن هذا مرض كأي مرض آخر له علامات وأعراض لكن من المؤكد أيضاً أن هذا المرض ليس له علاج و يصاب به الحمقى فقط .. و من علاماته الأرق ، الهذيان، القلق ، العصبية ، الصمت ،الحزن بلا سبب و الفرح بلا سبب وتصحبه غالباً منامات ليليلة تبدأ بعد ساعة من النوم لكي استيقظ وأفكر فيكِ حتى الصباح ، وتختلف الأعراض من عاشق إلى آخر على اختلاف نسبة الحب وعلى اختلاف عمق التعلق في الطرف المفقود و في المرة الأخيرة التي خلت فيها ذاكرتي من الجميع علقت بذاكرتي هذه الأبيات :

" أطمح أن لا اكرر ذاتي

وادعو إلهي بأن اتكرر

فإني عشقت طوال حياتي

وسوف اعود لاعشق أكثر"

كتبت لك هذه الأبيات عندما كنت تطلبين مني بإلحاحٍ شديد

أن أكتب لك قصيدة وبعد أن قرأتها لكِ قلتي لي أريد تغيير كلمات القصيدة

لأدخل معك في كل بيت ، لن تكون وحيداً يا حبيبي حتى على ورق القصيدة

سوف أجعلها مثلاً :

"نطمح أن لا نكرر ذاتنا

وندعو الإله بأن نتكرر

فإنا عشقنا طوال حياتنا

وسوف نعود لنعشق أكثر"

ضحكت كثيراً يومها وقلت لكِ

- لماذا تطلبين مني كتابة الشعر اذا كنت شاعرة إلى هذا الحد

- طلبت منك أن تصفني فوصفت نفسك ، أنت أناني حتى في الشعر

- لم أصف نفسي بل وصفت حبي لكِ لم أجد شيئاً صادقاً أكثر منه لأصفه

- بل يوجد ماهو أصدق من حُبك لي

- ماهو ؟

- حبي لك ..

أما الآن فلا استطيع أن اقرأ قصيدة أنتِ فيها ، لا أستطيع أن أتحدث بالنيابة عنك، لا أستطيع أن أجمع بيني وبينك بجملة مفيدة ، لا أستطيع أن أختار بالنيابة عنكِ ، لا أستطيع أن أراكِ ، لا أستطيع التفكير فيكِ أو نسيانُكِ

أتدرين ما معنى أن يقول شابٌ عنيدٌ مثلي عبارة "لا أستطيع"

هذا يعني أن الشيء الوحيد الذي يستطيع هزيمة الإنسان العنيد هو قلبه

لقد خَرجتِ من القصيدة التي كتبتها يداكِ وبقيت وحدي فيها

فعادت قصيدتي كما كانت ولم تعد قصيدتكِ .

وأكثر ما يحزنني الآن أنني لا أستطيع اعتبارك سوى تجربة من التجارب السابقة ، كمن يجمع عفش بيته لرحيل طارئ فيضع الحذاء وعلبة الذهب في كيس واحد دون الأخذ بعين الإعتبار بأن هذا ذهبٌ وهذا حذاء

تجربتي معك أُصنفها ضمن التجارب الحقيقية ، التي من صفاتها أنها تجعل الإنسان أكثر خبرةً ، وكلما ازدادت خبرة الإنسان تزداد مساحة الصمت في حديثه على عكس الإنسان الفارغ تراه يثرثر طوال الوقت ويدعي الخبرة والتجربة وفي الجهة المقابلة هناك شخصٌ صامتٌ و على شفتيه ابتسامةٌ صغيرة

هو يعلم جيداً أن أصحاب التجارب الحقيقة يخجلون أن يقولون كلمة (أنا)

يعلم جيداً أن هذا الذي يتكلم كثيراً عن نفسه لم يخض تجربة الحياة بعد

وأن من لم تغيرهم الحياة ليسو أشجاراً ثابتة وإنما لم تزرهم رياحاً قوية بعد

لأن التجارب الثقيلة تخرج من داخلك إنسان آخر أنت نفسك لا تعرفه

لم تكن تعلم أنه كان بداخلك طوال تلك السنوات لم تكن تعرف

أن هذا الشخص الثرثار الذي عاش بداخلك لسنوات وسنوات

سيموت يوماً ما وانت على قيد الحياة وستعلم أن من كنت منزعجاً من تغيرهم

من عزلتهم من صمتهم لم يختارو هذا بإرادتهم وإنما تلقو ضربةً ما جعلتهم هكذا

وغالباً ما تكون هذه الضربة عدة أزمات متتالية لفترات طويلة من الزمن

يجب أن يموت شيء ما بداخلك ليولد شيئاً آخر يجب أن تتعود على هذا الشخص الجديد وتؤمن أن ذاك القديم الذي تحاول إرجاعه لن يعود مجدداً

لكل قصة بطلٌ جديد ولعل قصتك القادمة تحتاج إلى هذا الشخص الجديد

الذي لا تريد بقائه بداخلك ولو كان ذاك الشخص بهذه المرحلة لما اكتملت قصتك ، كذلك أنتِ يا حبيبتي ربما كانت قصتك القادمة تحتاج بطلاً غيري .

مما دار في ذهني أيضاً في زحام تلك الليالي الثقيلة مواقفاً تحمل طابع السخرية

مثلاً كنت أقول لكِ دائماً أنك تشبهين الممثلة البريطانية " كاري موليجان "

وأعود سريعاً لأُصحح خطأي الذي غير معالم وجهك الجميل وأقول :

- لا أحد في الكون يشهبك أو يمتلك جمالاً يضاهي جمالك

ثم كنا نضحك معاً لأن كلانا نعلم أن كاري أجمل منكِ ،

ما أريد قوله هنا أنني لم أكذب عليكِ يوماً إلا إذا كنت متأكداً بأن هذه الكذبة مكشوفة وبيضاء تماماً مثل كذبة أنك أجمل من كاري موليجان ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن يزعجني تشكيكك المستمر بوفائي ، وأسألتك المستفزة حول صدقي معكِ ، كنت سعيداً بكل شيء منكِ حتى ذلك الشَك وعلى الجهة المقابلة كنت أثق بكِ ثقةً عمياء ، ربما أنتي أيضاً كذلك لكن الشك كما يقولون " ملح الغرام "

لم يكن يهمني من أجمل منكِ أو أنت أجمل ممن ، كان المهم هو انتي فقط .. صوتك ، ابتسامتكِ ، رائحةُ شعرك ، قُبلتكِ ، صِدقُكِ ، وجنونك المستمر

في ذلك الوقت كان لدي مخزون من الثقة لقد جئتي قبل أن ينتهي هذا المخزون وذهبتي قبل أن ينتهي ، ربما أخذتي ما لم يأخذه أحدٌ بعدك ، ومن قبلك أخَذَت مالم تأخذينه ، هكذا هي قلوبنا مثل سلة التفاح من يأتي أولاً يأخذ أجمل مافيها ومن يأتي متأخراً لا يجد سوى الحبات التالفة التي تركها السابقون .

اللقاء الذي يليه كان في منزلي أيضاً ، هذه المرة أعدت غاردي لي قطعة جاتو وتشكيلة من المعجنات اللذيذة وأحضرتها معها لم أذق بلذتها من قبل :

- المعجنات رهيبة الطعم ، هل أنتِ من أعدها أم والدتك

- أنا ، لكن تعلمت ذلك من أمي

- ظننت أنك فعلاً لاتجيدين الطبخ كما قلتي في تلك المرة

- لا في تلك المرة كنت أعاندك فقط ، لكن في الزيارة المقبلة أنت ستطبخ لي

- حسناً ، ستفاجئين من طبخي

- ألهذه الدرجة لذيذ !

- بل لهذه الدرجة سيء

- لا يهم المهم أنه من يدك ، صحيح لاحظت منذ يومين أنك تابعت فتاة جديدة على انستغرام وهي أيضاً قامت بمتابعتك من تكون هذه ؟

- زميلتي في الجامعة

- هل تتحدث معها كثيراً ؟

- لا ربما مرتين

- دعني أرى ماذا تحدثتم

- ألا تثقين بي

- بلى ، لكن هذا من حقي خذ أنت هاتفي أيضاً وانظر إليه

- وفي النهاية تقولين بأنني أنا الشكاك

- أنا لا أشك فيك لقد اختبرتك دون أن تعلم

- كيف ؟

- لقد أرسلت لك رسالة من حساب صديقتي ولم تجب

- لم أراها لو رأتيها لكنت أجبت "بمزاح"

- لن تستطيع استفزازي أنا أعلم بأنك رأيتها

- ليتنا ولدنا في العصر القديم لقد كان الحب أجمل

- نعم وكانت الخيانة أسهل أليس هذا ما تريده ؟

- من يريد أن يخون يجد طريقةً يخون بها في أي زمان ومكان دون أن يكشف

- أعلم ذلك لكنني أحاول استفزازك

لم تأخذ قصص هذا الزمان حقها في الكتابة حيث قلت الكتابة مع كثرة التطور فكل قصص الحب التي قرأت عنها كانت من الزمن القديم حيث لا تكنولوجيا

ولا مكالمات فيديو في المساء ، كانت عبارة عن رسائل وصندوق بريد وقلم ربما كان لها طعمٌ أجمل وكانت أكثر عُمقاً ، لكن الحب في زماني أيضاً يحارب الإشتياق ، ويقتل الفضول ، ويقلل حجم الإثارة العاطفية بين العشاق

وربما يقلل من بهجة اللقاء ، وكيف نرى بعضنا في المنامات ونحن نرى بعضنا طوال الليل ، لا حاجة للمنامات لنلتقي في ظل وجود الواتساب ، أتدرون متى نعيش في أجواء الحب القديمة .. بعد الفراق حيث يبدأ الإشتياق ويسرح الخيال ويتم تفعيل إمكانية رؤية بعضنا البعض في المنامات الليلية وتبدأ حرب اللقاءات الوهمية والرسائل الوهمية ، يرجع الفضول سيد الموقف وتصبح الإثارة ذو أهمية الحب يجعلك تعيش في زمنين مختلفين إذا ما انتهى بالفراق ويجعلك تخترعُ زماناً تعيش به كما تُريد إن استمر ، وأنا من الذين لم يكونو بارعين في اختراع زمانهم كثيرةٌ كانت عيوبي في الحب منها الكرم والإيثار والتضحية وربما الصدق لكن ليس مع نفسي ، هذه أسباب كفيلة بأن لا أكون بارعاً في اختراع زماني .

لم أكن أعلم أن من يعطي كل شيء في الحب سيخرج خالياً من كل شيء لن يأخذ معه سوى ذاكرته ، وقلبه الذي لم يعد قلبه وبعض الكلمات الصادقة وبين طيات هذا العمر الذي يمضي سريعاً ، لم أكن أشعر أن الوقت ذو أهمية

لم يكن يهمني إن جاء غداً أو لم يجيء ، إن انتهى اليوم أو لم ينتهي لطالما أنتِ موجودة في حياتي ، كان الحب تفسيراً منطقياً لوجودنا في هذه الدنيا ..

وإلا كيف نفسر هذا الوجود ! لم يكن هناك عقبات كبيرة تستحق الوقوف عندها ، لكن كنت أشعر بداخلي أن هناك عقبة كبيرة في انتظارنا لكنها لم تظهر بعد ، وربما هذا ما كان يجعلني غير مبالٍ في المواقف العابرة التي مررنا بها

و كانت لا مبالاتي تستفزها كثيراً ، وأنا بالفعل لم أكن أعرف السبب ، لكن في العادة وبعد كل تغيير في شخصيتي أفكر بيني وبين نفسي لفترات طويلة وأبحث سبب هذا التغيير ، حتى أصِل إلى سبب منطقي أدى لتلك النتيجة ، وهنا اكتشفت أن السبب هو العلاقات السابقة ربما سلبت مني طاقة الدهشة والإنبهار .. وفي أحد المواقف التي تدل على ذلك في يوم من الأيام بينما كان اليوم مقبلاً على الغروب وكنت في هذا الوقت استغل نسمات الهواء المسائية لأجلس في الشرفة الداخلية و كنت أغلي الحليب لتحضير كوباً من النسكافيه وشربه أثناء مراجعة دروسي في البلكون جائني اتصالاً هاتفياً منها وكانت سعيدة جداً قالت لي حينها :

- اتصلت بك لأخبرك بهذا النبأ السار

- اهلاً غاردي ، ماهو النبأ ؟

- لقد حصلت على رخصة القيادة أخيراً

- هذا جميل ، أهنئكِ

- ألم تفرح ؟

- بلى ، لقد فرحت

- لكن لا يبدو عليك ذلك !

- بالطبع لن أفرح بقدر ما أنتي فرحتي لأنكِ أنتي من بذلتي المجهود وانتي من سوف تمارسين قيادة السيارة

- والله ؟

- غاردي ما بك ؟

- أنا مخطئة لأنني ظننت أنك سوف تسعد بهذا الخبر

- ومن قال لك أنني لست سعيد ؟

- ردة فعلك باردة جداً ، ولم تجاملني حتى

- حسناً في المرة القادمة سوف أركض في الشارع عارياً وأضحك كي لا تكون ردة فعلي باردة

- لا تسخر مني

- هل تريدين افتعال مشكلة ؟

- أنت من تريد ذلك

- حسناً ، لنطوي الصفحة

- أين هو الحب الذي بيننا ؟

- في جيبي

- عدت إلى السخرية ؟

- ماذا تقصدين ؟

- لماذا لا يهمك أمري ، لماذا تصرفاتك لاتُظهر لي بأنك تُحبني ؟

- وكل الذي مضى ماذا تحسبينه ؟

- لايهمني ما مضى ، يهمني اليوم وغداً .. يهمني أن تحبني في كل يوم كأنه اليوم الأول بيننا ، لايهمني إن دللتني بالأمس وأهملتني اليوم يهمني أن تدللني اليوم حتى وإن أهملتني في الأمس .

السيء في الأمر أنها كانت على حق وكنت أعلم أنها على حق لكن كنت أكابر وأُبرر كل شيء لنمضي قُدماً في العلاقة دون أن يهت لونها أو يَهمَد بريقها

في نفس الوقت كنت عاجزاً عن استرداد تلك الطاقة الإيجابية من العلاقات السابقة ، هذا الأمرُ ممكنٌ بالطبع لكنه يستغرق بعض الوقت ، وإذا نظرنا للموضوع من زاويةٍ أخرى ربما عدم تصديقي لكلام الناس جعلني أرى جميع

الأقوال بلا قيمة لطالما أن هذه الكلمات غير مصحوبة بمواقف ، لا يهمني ما تقوله في وجهي ما يهمني هو ما تفعله من أجلي ، نعم هذه القاعدة هي السبب لقد كنت مخطئاً حين ظننت أن العلاقات السابقة هي السبب ، السبب الحقيقي

هو فقدان الثقة في التعابير والكلمات ، لأن أول من خذلني هم أولئك الذين ملأوا رأسي كلاماً وأثقلو سمعي نفاقاً و بصري ابتساماتٍ زائفة .

وحين اجتمعنا في احدى المؤتمرات التفاعلية التي كانت تنظمها الجامعة التي تدرس فيها غاردي ذهبت إلى هناك قبل انطلاق الفعاليات بساعتين وجلست مع غاردينيا على مدرجات الحفل حيث كانت فارغة ولم تأتي الناس بعد بينما كانت نائمة على كتفي كنت أتلمس شعرها وأدعابه قالت حينها :

- في الأمس صديقتي انفصلت عن حبيبها ، لم أكن أتخيل أن هذا الثنائي سينفصل في يوم من الأيام

- وما الذي يمنع انفصالهما ؟

- انهما قريبان من بعضهما جداً ، ولا يفترقان طوال اليوم

أحياناً كنا نشعر بأنهما شخص واحد

- لكن هذا لا يمنع نشوب خلاف بينهما العلاقات لاتخلو من الخلافات

- أنا مشفقةٌ عليها ، إنها تعيش حالة صدمة

- هل هو من بادر في الإنفصال ؟

- نعم ، هي تقول ذلك

- لا بد من وجود سبب أليس كذلك ؟

- هل تحاول أن تبرر له ذلك ؟

- لا ، لكن لا يوجد شخص يترك حبيبته بلا سبب

- لقد كان يعدها كثيراً بأنه سيبقى معها حتى نهاية العمر ، لذا لم تكن تتخيل أن يحدث ذلك

- الوعود تقال نتيجة موقف ما أو نتيجة حالة نفسية ما ، وطالما أن هذه الأشياء متغيرة لا يمكن للوعود بأن تبقى ثابتة

- أفهم من ذلك أنه من الممكن أن تخل بوعدك لي أنت أيضاً

- على حسب الوعود ، اذا كانت مصيرية ونتيجة شعور ثابت لن أخل بها

- معنى كلامك أن الوعود لاقيمة لها بالنسبة لك

- ليس كذلك ، لكن لا أحد يعلم ما تخفي له الأيام لا أحد يضمن القدر

- ألا تضمن أن نستمر معاً ؟

- لم أقل ذلك ، لننهي هذا النقاش

لم تكن تفهمني حينها كنت أحاول أن أوصل لها أنه ليس بوسع العاشق أن يفرش طريق قلبه بالورد ولابوسعه أن يشتري عشقاً مكفولاً بنهاية ذهبية

أو بلا نهاية ، كل ما يستطيعه هو أن يختار كيف يبدأ عشقه ومع من يبدأ ، لكن كانت دائماً تردد سوف تعيش معي عُمرَين بدل العُمر و لن نفترق أبداً

لن أتركك ولن أدعك تتركني لن أجرحك ولن أدعك تجرحني لن أندم ولن أجعلك تندم ، وأنا بالطبع لن أُخبرها سوى بما تحب أن تسمع لن ندخل في دوامة " لو" هذه المرة نحن صادقين وسوف ننجو بهذا الصدق سوف نستمر

المزارع يحسب كل شتلة زرعها في أرضه ويقدر أرباح موسمه بناء على ذلك

لكنه يعلم أن بعض المزروعات ربما تخذله ولا تنمو لكن أيضاً هناك أشجار سوف تنمو وتثمر ، ليس من المنطقي أن يكف عن الزراعة بسبب بعض الأشجار التي خذلته بل إن المنطقي بأن يستمر في الزراعة بسبب الأشجار التي لم تخذله

فهي في الغالب تكون أكثر بكثير من الأشجار التي لم تنمو ، لا يمكن أن يجعل الغضب يسيطر عليه ويقطع الأشجار المثمرة لأن هناك أشجاراً لم تُثمر

هي كانت شجرة مثمرة بالنسبة لي ، ليس من المنطقي قطع شجرةٍ مثمرة

إلا أذا كان المزارع أحمق ، لكن أيضاً من حق هذه الشجرة المثمرة

أن تنمو في بستان أخضر وعلى يد مزارع يعتني بها ويُقدر تلك الثمار

فهل يكون العيب في المزارع أم في البذور إن اعتنى بشجرة ما ولم تُثمر ؟

لكن بعد كل انفصال دائماً هناك طرف يقول " نجاني الله من هذا الحب " وغالباً ما يكون هذا الطرف هو من تمسك أكثر ومن بكى أكثر بعد الفراق ، عندما يصل العاشق إلى هذه القناعة تأكَد أنه لم يعد تحت تأثير الحب وأنه قد تحرر تماماً من سيطرة هذا الغرام ، لكن التحرر من الحب شيء واستئصاله من الذاكرةِ شيءٌ اخر ..

وبعد انتهاء فعاليات المهرجان خرجنا للعشاء معاً وعلى ما يبدو أن غارديناا لم تستطع تجاوز ذلك الحوار الذي دار بيننا في النهار لذا أعادت فتح الموضوع :

- هل يمكن أن أسألك سؤالاً

- ما هذا التهذب ، منذ متى تستأذنين !

- أخشى أن تغضب مجدداً

- لن أغضب أسألي ما شئتي

- لماذا غضبت وطلبت أن ننهي نقاشنا اليوم ؟

- لأنك كنتِ ستعيدينا إلى نفس الدائرة التي ينتهي بنا الأمر بها بعد كل نقاش

- ماهي هذه الدائرة ؟

- أنني لست متمسكاً بكِ ويمكن أن أتخلى عنكِ في أي وقت

- لم أكن أفكر في ذلك أصلاً ، أرأيت كيف أنك تسيء الظن بي

- حسناً ماذا تريدين أن تقولي ؟

- أريد أن أقول بأنك لاتُظهر لي مدى تمسكك بي ، كنت أحاول قياس ذلك فقط

- ألم تقولين اليوم أن ذاك الشاب كان يعد صديقتك بالبقاء ولم يوفي بوعده ؟

- أجل ما علاقة ذلك ؟

- بماذا أفادت تلك الوعود ، وماذا أفاد إظهاره لها بأنه متمسك بها عندما تركها ؟

- أفهمك جيداً ، لكن كما قلت أنت لديه أسبابه

- ربما انفصلا بحجة خلاف تافه ، لكن السبب الحقيقي ليس هذا الخلاف

- ماهو السبب الحقيقي برأيك ؟

- السبب الحقيقي غالباً ما لا يكون في النهاية

- تقصد أن السبب هو تراكم المواقف ؟

- شيء كهذا يا غاردي

وما زلت ثابتٌ على قناعتي تلك إلى يومنا هذا ، قصص الحب لاتنتهي بسبب خلاف تافه أسباب الفراق غالباً ما تكون كاذبة ، أقصد هنا الأسباب التي نقولها لأن الأسباب الحقيقية في أغلب الأحيان لاتُقال ، أي أن المواقف الأخيرة

في الغالب تكون مجرد حجة لتصفية حسابات قديمة ، المواقف الحقيقية التي تؤدي للأنفصال غالباً ما تكون في المنتصف ، أجل هناك موقف حدث في المنتصف أنهى كل شيء ، الموقف الأخير كان مجرد حجة لاترتقي لأن تكون سبب في انتهاء قصة عظيمة مثل قصتنا ، لم يكن ذنبكِ بل هو ذنبي بالطبع كان من المفترض أن تخرج كل هذه الشوائب إلى السطح وتطفو بعيداً عن علاقتنا منذ البداية ، تفاجئت عندما خرجت منكِ ، لم أكن أتوقع أن يكون الأمر بتلك السرعة بدأت بعدها أتأكد أن كل ما يبدأ سريعاً ينتهي سريعاً وكل ما يبدأ بسعادة ينتهي بحزن قوي ..

وأن الحب الذي كنت تهرب إليه من أعباء الحياة يصبح هو العبء الأكبر لديك

و في احدى مواقف الشتاء الأخير عندما أصبح العقل يتغلب شيئاً فشيئاً على العاطفة بالنسبة لي حيث كنا نجلس في احدى المقاهي الجميلة

- هل فكرتِ في يوم من الأيام إلى أين نحن ذاهبان ؟

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن مشواري قد يطول كثيراً ، هل أنتِ مجبرة على الإنتظار ؟

- ماذا تقصد أيضاً "تغيرت نبرة صوتها وبدأ الخوف يسود على ملامحها "

- أقصد أن العمر سيتقدم بنا ولن يقف و ينتظرنا حتى نصبح جاهزين

- كفاك ألغازاً قُل ماذا تريد ؟

- عندما أكون جاهزاً للزواج سيكون العُمر قد تقدم بكِ لماذا تضيعين من يديك كل الفرص التي سوف تأتي إليك طوال السنوات القادمة من أجلي ؟

- ببساطة لأنني أحبك

- ماذا سيحدث لك لو تغيرت مشاعري تجاهك بعد أن انتظرتي كل هذه السنوات من أجلي !

- المُحب الحقيقي لا تتغير مشاعره ، سيحدث ذلك في حالة واحدة فقط ؛ إذا كنت كاذباً منذ البداية هل أنت كاذب ؟

- وأهلك بماذا ستجيبينهم في كل مرة يأتي إليك عريس جديد ؟

- أهلي لا يجبرونني على شيء لا أريده ، لكن لماذا تقول هذا الكلام الان ؟ هل تريدنا أن ننفصل ؟

- بالطبع لا ، لكن أخشى أن أظلمك

- إن ابتعدت عني فأنت ستظلمني وإن ابتعدت أنا عنك سأظلم نفسي

- لكن أن أرى أن بقائي معكِ هو من سيظلمك وليس ابتعادي عنكِ

هنا غضبت بشدة وقالت :

- لماذا أنت تحاول تعكير مزاجي ، قل لي إنك لاتريدني وينتهي الأمر

ثم غادرت غاضبة ، ردة فعلها والدموع التي كانت تتراقص في عينها لم يؤثران بي ، وبقيت متشبثاً في رأيي إن رؤيتي للمستقبل صحيحة فأنا كلامي نابعٌ من العقل وهي كلامها نابِعٌ من القلب ، الموضوع لم يكن يتعلق في الشجاعة كما كانت تظن أنا لدي الشجاعة الكاملة لأقول لها وداعاً لو كان الأمر كما تظن وفعلتها من قبل دون أن يرف لي جفن ، لكن هذه المرة هناك حب يمنعني من ذلك ، لم تكن تؤمن أنها ليست بالمرأة التي أستطيع إيجاد بديلٍ لها بسهولة وليست بالمرأة التي أستطيع الإبتعاد عنها ولا أفعل ذلك إلا من أجلها ، أنا مؤمن أن من يحب لايهمه سوى أن يرى ما أحبه سعيداً حتى لو كانت هذه السعادة على حساب سعادته من يحب لايكون عائقاً أمام سعادة حبيبته ، التمسك بشخص ما أحياناً لايُفيد سوى أنه يجعل الوقت يمضي بلا فائدة ويحجب الرؤية عن الأحلام الأخرى والفرص الأخرى التي ستضيع بسبب أن هناك شخص ما يُهيمن عليكِ ثم يتخلى عنك عندما تنتهي فُرَصُكِ في الحياة ويصبح هو فرصتك الوحيدة .

سَكَرات الحب ،قد يصل العاشق إلى مرحلةٍ يصبح فيها كالمجنون بل ربما مجنوناً لم يُعلن عنه بعد ، وفي الغالب يبدأ هذا الجنون عندما يقف حائراً بين الفراق والإستمرار .. يشبه لاجئاً تعب سنوات وسنوات في المهجر كي يبني حياة مستقرة ويبدأ انطلاقةً جديدة وبعد أن وصل إلى حالة الإستقرار صدر قرارٌ بترحيله إلى وطنه ، ليعود إلى بيته التي هدمته الحروب ويبنيه من جديد ويبدأ بإعادة استقراره على أرض الوطن الذي خرج منه باحثاً عن الإستقرار ، نعم

هذا العاشق المسكين أيضاً خرج من تحت أنقاض حب قديم ليبحث عن حب جديد يعيد إليه الإستقرار العاطفي فوجد نفسه تحت الأنقاض مُجدداً ....

اللاجئ والعاشق كلاهما يبحث عن الإستقرار ، وكلاهما يعيشان في وطنٍ مؤقت .

ألتيقنا بعد ذلك في على الساحل ثم ركبنا في سفينة معاً وكانت غاردي تحب البحر كثيراً في تلك الرحلة لم تتوقف عن التصوير لدرجة أنني انزعجت حينها من مبالغتها بالتقاط الصور ولم نتحدث كثيراً فقلت لها :

- هل أنتي خارجة مع هاتفك أم معي ؟

ضحكت كثيراً وقالت :

- ردودك مضحكة جداً وأنت غاضب

واستمرت في الضحك وكانت ضحكتها تزيد من غضبي

وتمنحني الهدوء في نفس الوقت ، فأنا أحب تلك الضحكة فقلت لها :

- اقتربي لأقول لكِ شيئاً

- لا أريد ستغدر بي وتعضني ، أعرف جيداً ما تفكر به

- لا بل أريد تقبيلك

- هذه الحيلة أصبحت قديمة ، فكر بغيرها .. ستقوم بعضي

- حسناً سأرمي هذه العملة الحديدية ، إن وقعت على الصورة سأقوم بعضكِ وإن وقعت على الرقم سأقوم بتقبيلك

- موافقة ، هيا ارمها

- تعالي إلى جانبي في البداية ، كي لا تتمكنين من الهرب إن وَقَعت على الصورة

- حسناً

عندما جَلَسَت بجانبي قمت برمي العملة إلى الأعلى ، وبينما هي تنظر إلى العملة في الأعلى قمت بعضها بسرعة فتألمت وقالت بغضب :

- أناكنت مخطئة عندما وثقت بك

- ألم تطلبين مني إيجاد حيلة جديدة ، ها أنا وجدت

نظرت إلي بغضب ثم قامت برش المياه عليَّ وهَرَبَت ضاحكةً

كلن منا له جماليات لاتخرج من داخله إلا مع الأشخاص الذين يحبهم

مثل الغناء ، خفة الظل ، الثرثرة ، الضحك ، الرقص ، الكلام الجميل

لكن حتماً سوف تُدفن هذه الجماليات إذا كنت تعيش مع الشخص الخطأ

فماذا عن الذين أخرجنا جميع جمالياتنا معهم واكتشفنا أنهم الأشخاص الخطأ !

هنا تكمن الصدمة وتنعدم الثقة وتصبح الإبتسامة ثقيلة على الشفاه ، كنتي دائماً تقولين لي " لو لاقدر الله افترقنا لن أقول أنني كنت مع الشخص الخطأ لأنني أعلم جيداً أنني مع الشخص المناسب "كانت تسعدني هذه الثقة كثيراً وتجعلني أفكر في طريقة أثبت لك فيها بأني الشخص المناسب بالفعل ، كنت أريد تثبيت هذا الإحساس بداخلك حتى ولو كانت طريقتي مكشوفة وأبدو كأنني أتصرف بحماقة ، من الصعب أن يرى العاشق الحماقات التي يتركبها أثناء عشقه أو ربما يراها لكن لايبالي لطالما أن هذه الحماقات في سبيل إسعاد شخص يسكن القلب

ولم أكن أقتنع أنني لا أحتاج لبذل هذا المجهود فأنا أسكن قلبها بالفعل لاحاجة لتلك التفاهات التي أبدو مثل البهلوان حين أقوم بها ، صدقت جدتي حين قالت " الحب جنون و الجنون فنون " ، أتذكر احدى تلك المواقف عندما كنت أقف في الصباح الباكر أمام منزلها أنتظر والديها أن يخرجان من المنزل ولم أكن أعلم الوقت المحدد لخروجهما وبعد أن انتظرت ساعة ونصف خرج الأب والأم

فذهبت مسرعاً إلى الشقة وطرقت الباب ففتحت لي الباب ولم تكن تعلم بمجيئي ، قالت لي مستغربة :

- ما الذي أتى بك في هذا الصباح الباكر ؟

- لم أنم ليلة أمس ، لقد تذكرتك وحين أتذكرك لا أنم حتى الصباح

- وجئت لتراني فقط ؟

- نعم إلا إذا كنتي لا ترغبين برؤيتي

- أنا سعيدة برؤيتك لكن خشيت أن يكون قد حدث لك مكروه ، استغربت مجيئك بهذا التوقيت فقط

- من الآن فصاعداً ربما تجدينني أخرج من تحت سريرُكِ في منتصف الليل أو أطرق باب بيتك في ساعات الفجر

ضحكت وقالت :

- هذه علامات الجنون التي كنا نتحدث عنها بالأمس أنا وأهلي

- فداكِ عقلي ، من أعطاكِ قلبه لن يبخل عليك بعقله

- أنا أعلم أنك تفعل ذلك لتثبت لي بأنك تحبني وليس لأنك تشتاق لي إلى هذا الحد ، لكن أنا سعيدة برؤيتك مهما كان السبب

- لم أرى إنسان يقرأُني ويتصفحني بهذه الدقة مثلك ، أنتي مخيفة

- هنا نقطة الإلتقاء أنت لاتحفظ الكتاب إلا إذا أعجبك محتواه ، وأنا أعجبني محتواك فحفظتك ، لذا لا داعي بأن تحاول أن تُثبت لي أي شيء فأنا أحببتك وانتهى الأمر

- ربما أفعل ذلك لأنني أشعر بالتقصير تجاهك هناك إحساس دائم بداخلي بأنك تسحتقين أكثر من الذي أقدمه لك بكثير

- صدقني أن نقطة منك تعادل بحراً من غيرك ، كل ما تقدمه كبير بالنسبة لي

- لكن ما تقدمينه أنتي ، أكثر بكثير

- بل أنت أكبر بكثير مما أقدمه .

لقد كنا نكره أن يشكر أحدنا الآخر وكنا نعتبر كلمات الشكر خروج عن النص وخرق واضح لقوانين الحب ، هذا معنى أن لايبقى هناك حواجز بين الأحبة

في ذكرى يوم ميلادي الأول لنا معاً ، نظم لي أصدقائي حفلاً صغيراً في منزل أحد الأصدقاء وبالطبع ذهبت لحضور ذلك الحفل كيف لا وهو معمولٌ من أجلي ، في هذه الأثناء انسجمت مع أصدقائي وسرقتني أجواء الحفل ولم أنظر لهاتفي ، وفي نهاية الحفل نظرت إلى الهاتف فوجدت اثنان وخمسون مكالمة فائتة منها والعديد من الرسائل النصية والصوتية بعضها كان يحمل الخوف والقلق وبعضها كان يحمل الغضب ، كنت قد واعدتها أن نحتفل بهذا اليوم معاً كيف نسيت ذلك ! ماذا سأقول لها الآن ؟ حاولت الإتصال بها ولم تجب على مكالماتي

لم يبقى أمامي سوى أن أذهب إلى منزلها ، لكن الوقت قد تأخر فكتبت لها رسالة نصية ونمت ، وعندما استيقظت في اليوم التالي لم أجد رداً منها على الرسالة ، إنها غاضبة مني ومعها حق لا أستطيع أن ألومها في ذلك ، ثم شربت كاسة النسكافيه واتجهت نحو صالة المنزل لأتصل بأمي بالهاتف وقبل أن أبدأ المكالمة رن جرس المنزل قلت ربما أحد الجيران نسي مفتاحه فرن جرس شقتي

لأفتح له باب البناية ، فتحت الباب وعدت إلى الصالة لكن بعد قليل رن جرس الشقة أنا لم أطلب طعاماً ولم أواعد أحد من هذا يا ترى ، نظرت من العين السحرية وإذا بحبيبة القلب تقف أمام الباب ، يالها من مفاجئة ...

فتحت لها الباب وكانت تحمل بيدها هدية وضعت الهدية على خزانة الأحذية وعانقتني بغلٍ شديد وكان في عناقها الكثير من العنفوان والعتاب ، ثم قالت :

- أين كنت في الأمس ؟ لماذا لم تكن تجيب ؟

- لقد نظم لي أصدقائي حفلاً ونسيت موعدي معكِ

ثم جاوبت بغضب :

- هل تعلم بأنني جئت إلى هنا في الأمس لكي أحتفل معك ولم تجب على اتصالاتي وبقيت لمدة اربعون دقيقة واقفةٌ أمام البناية أحاول الإتصال بك هل تعلم ذلك ؟

عانقتها مجدداً ، فأنا لا أملك ثقافة الإعتذار لم أتمكن من الإعتذار لها فوجدت العناق أسهل طريق للتعبير عن اعتذاري لها ، لكنها أخذت بالبكاء ولم تتوقف إلا بعد محاولات عديدة مني لتخفيف غضبها ثم قالت :

- ليس من السهل أن أقنع أهلي بخروجي من المنزل ، ولو عرفو بأنني آتي إلى هنا لصرت في خبر كان ، وعلى الرغم من عدم تقديرك لذلك وعلى الرغم من نسيانك الكامل لي في حضرة أصدقائك أتيت إليك مجدداً

- أنا شكرت أصدقائي في الأمس لأن ما فعلوه كان مفاجئاً لي أما أنتي فأنا أتوقع منكِ كُل شيءٍ جميل ولا أتفاجئ مما تقدميه لأجلي لكن إن كنتِ تريدين أن أشكركِ ف شكراً جزيلاً لكِ

قالت بغضب :

- لماذا تشكرني ؟ هل طلبت أن تشكرني ؟

- قلت لنفسي ربما هذا ما يثبت لكِ تقديري لما تفعلينه من أجلي

- كل ما أفعله من أجلك وتفعله من أجلي هذا واجبٌ علينا ولاشُكر بين الأحبة

- أعلم ذلك ، وأعلم أنني أخطأت في نسيانكِ

- هل نسيتني بهذه السرعة ؟

- لا ، أقصد أنني نسيت الموعد وليس أنتي

- حسناً ، كل عام وأنت بخير لم أكن أريد أن أُعكر صفوك بهذا اليوم

- أنا سعيد جداً بهذه المفاجئة ، كنت سوف آتي إليكِ ليلة أمس

- حقاً ؟

- نعم ، وكنت سوف آتي إليكِ بعد قليل لو لم تأتِين

- حسناً دعنا نحتفل معاً اليوم ونعوض الأمس

قضينا النهار كله معاً كان واحدٌ من أجمل الأيام التي عشتها في حياتي ولم أنسى تلك التفاصيل الجميلة التي حدثت في ذلك اليوم ، كانت مصدر

السعادة الأول لي ، وربما لم أكن مصدر سعادة لها بقدر ما كُنت مصدر بكاء ، بسبب إهمالي المستمر وإخلالي بالكثير من المواعيد معها وعصبيتي في الكثير من الأحيان آنذاك ، وعندما أُقارن بين ما قدمتُه أنا وبين ما قدمَته هي ، أشعر بالتقصير و أجد بأن ما قدمته هي أكثر بكثير مما قدمته أنا ، لكن الصدق الذي بداخلي دائماً يقول لي بأننا لم نكن نستحق هذه النهاية وقبل أن تغادر المنزل كنت ألبس ثيابي لأخرج معها وأقوم بتوصيلها كما جرت العادة ، فوجدتها قادمة إلى غرفتي وبدأت تنظر إلى العطور والهدايا التي في غرفتي وقالت :

- أخبرني من منحك كل هدية من هذه الهدايا ؟

- أصدقائي

- هل كلهم شباب ؟

- نعم كلهم رجال لا يوجد فتيات لا تقلقي

- دعني أنا أُمشط لك شعرك

- لن تعرفين

- بل أعرف ، اترك الأمر لي

بدأت بتصفيف شعري و أنا كنت أتأملها في المرآةِ ، كانت تبدو مثل القمر ، وحين انتهَت من تمشيط شعري نظرتُ إلى أعلى رأسي فوجدت ابتسامة غارديني في انتظاري ، كاد قلبي يخرج من مكانه .

الفصل الثالث

آثار الهزيمة غالباً ماتكون واضحة أكثر من لذة الإنتصار لأن النصر هو شعور داخلي يشعر به الإنسان ويجني ثماره بعيداً عن أعين الناس لكن الهزيمة لايمكن إخفائها فهي شعور داخلي ودمارٌ خارجي ، تُحصى خسائرها أمام أنظار الجميع ، ومع ذلك لا زلت أُصر بأنني انتصرت في معركة الحب وهذه الآثار التي بداخلي ستزول بزوال الحب ، فأنا البطل الذي ضحى بسعادته لإنقاذ سعادة الفتاة التي أحبها ، أنا الشجاع الذي دخل العشق من بابه وخرج من بابه ، وإن كان هذا العشق ذنباً فأنا أأبى الإستغفار عنه وليحاسب الله قلبي بدلاً مني فهو كان صاحب قرار البدء وحينها أنا دفعت ثمن ذلك القرار وعندما اتخذت أنا قرار الرحيل ، قلبي هو من دفع الثمن وفي الحالتين أنا الجاني والمجني عليه ، فماذا دفعت هي ؟

أأحاسب امرأةً على نسيانها ومتى استقام مع النساء حسابُ؟
ماتُبت عن عشقي ولا استغفرتُهُ ما أسخف العُشاق لو هم تابو
و ذنوب عشقي كلها مغفورةٌ و الله جلّ جلاله التوابُ

نزارقباني

في شهر آذار في يوم الجمعة تحديداً إلتقينا مرتين في نفس اليوم ، كان سبب اللقاء الأول هو أنه كان قد مر وقت طويل دون أن نلتقي بسبب ظروف تخص عائلتها لم يكن غني بالكلام بقدر ما كان غني بالتأمل وكان لقاءاً يملؤه الشوق بعد انتظار طال لثلاث أسابيع وكان هذا اللقاء في النهار وفي مكان عام ، كانت ساعة مليئة بالحب والمشاعر أتذكر جيداً الدموع التي كانت تتراقص في عينيها والرعشة التي كانت على يديها عندما أمسكتها والقُبلة المليئة بالكلام وبالغرام وبالحلال وبالحرام ، انتهى اللقاء الأول قبل أن ينتهي مفعول الشوق في قلوبنا وقبل أن تشبعُ أعيننا من بعضنا البعض ، أما عن اللقاء الآخر في ذلك اليوم كان دون ترتيب مسبق وكان في المساء حيث كنت أُمر صدفةً من ساحة الطيور التي خلف بيتهم ولم أكن أتوقع أن أجدها جالسة مع صديقتها في تلك الساحة تبادلنا النظرات ثم ذهبت إليهن وسلمت عليهن وجلست قليلاً وتفاجئت حينها بأن صديقتها المقربة لاتعرف شيئاً عن علاقتنا وعرفت ذلك بسبب تلك الصدفة ، وهذه أيضاً من الصفات التي جعلتني أعشقها فهي تكتم السر ، وقليلاً ما تجد امرأةً بنفس تلك المواصفات في هذا الزمان أو بغيره

- مرحبا

- اهلاً ما هذه الصدفة الجميلة

ثم قالت صديقتها :

- من يكون ؟
- إنه صديقي المقرب
- أهلاً بك ، لم تقُل لي من قبل بأن لديها صديق
- ها هي قالت ، ما اسمك ؟
- اجلس لماذا انت واقفٌ ، أنا اسمي كارولين
- أهلاً بك يا كارولين ، اسمك جميل
- شكراً جزيلاً
- حبيبي إلى أين كنت ذاهب ؟
- كنت عائداً من منزل صديقي إلى منزلي ، لا أدري لماذا اخترت المرور من هنا مع أنه الطريق الأطول ربما هي الصدفة
- إنها صدفة جميلة بالفعل

كارولين :

- يجب أن أغادر بما أنكما إثنان قوما بتوصيلي فأنا وحيدة
- بالطبع هيا بنا

أوصلنا كارولين وعدنا لنكمل جلستنا قالت لي حينها :

- سأبقى جالسة معك إلى أن يتصل بي أبي
- سأنام هذه الليلة وأنا في قمة سعادتي
- أتدري مما أخاف ؟

- مما تخافين ؟
- من أن يأتي يومٌ لا أنام فيه على صوتك ولا استيقظ على رسالةٍ منك
- أتخشين الفراق أم تخشين فراقي ؟
- لولاك لما خشيت الفراق ، لقد كانت هذه الكلمة من قبلك كلمة عابرة لا تعنيلي شيئاً
- لاتقلقي نحن أرقى من أن نفترق وأقوى من أن نستسلم للفراق.

في الواقع لم يكن هذا الكلام من قلبي لأن قناعتي كانت بأن فكرة الفراق واردة وما نعيشه معاً مجرد تأخير لها وليس إلغاء ، ما أصعب أن يكون هناك إنساناً تريده بكل حواسِك وتتهيأ لفراقه كل يوم كمن يلاحق الحياة والموتُ يلاحقه ثم أكملنا الحوار وقلبي يتمزق عليها وعلى نفسي
- متى سوف تسافر ؟
- ربما لن أسافر هذا الصيف
- أتمنى ذلك ، فأنا لن أحتمل ثلاثة أسابيع أخرى دون أن أراك
- أنتي أجمل شيء حدث لي طوال حياتي
- هل سوف نلتقي غداً ؟
- إذا كانت ظروفك ملائمة لما لا ، أنا متفرغٌ غداً

- أريدك أن تقول لي دائماً بأنه يمكننا اللقاء حتى لو كنت مشغولاً لأن مجرد تفكيري بأننا سوف نلتقي يُعدِل مزاجي
- أما أنا فمزاجي يُعدَل كلما تذكرت أنكِ موجودة في حياتي .

لوكنتِ تعلمين كم من المرات عدت من الموت بأعجوبة ، وكم من المرات رجعت إلى نقطة الصفر ، وكم من المرات فقدت عزيزاً لايُعوض ، وعندما عرفتُكِ أدركت أن الإله أراد بقائي على قيد الحياة لأجلكِ أنتِ ، هناك جزء من قصتي لم يكتمل بعد وكان هذا الجزء هو أنتي ، الجزء الأهم هو من سأكتب عنه هو من سوف يغيرني هو من سوف يقرر كيف سأمضي بقية عمري وربما هو من سوف ينهي قصتي ، هو نهايتي الجميلة هذه المرة قررت أن أكون شجاعاً دون أن أحسب أي حسابات أخرى ، وقلت لنفسي أنا وصلت للطرف المهم من القصة هذا يكفي ، الإستمرار لايسمن ولا يغني من جوع ، يجب أن أستغل موعدنا غداً و أصارحها بأنه يجب علينا إنهاء هذه العلاقة ، لا أريد إهدار المزيد من العُمر ، هذا قرارٌ نهائي لارجعة فيه ، آن لهذه القصة بأن تنتهي ، لم يمر ساعة بعد هذا القرار كنت على وشك النوم فاتصلت بي ، لم أستغرب ذلك فهي تتصل دائماً في مثل هذا الوقت عندما لا تنام مبكراً ، لكن صوتها كان يرجف ويبدو أنها تبكي :

- هل نمت ؟
- ليس بعد ، ما بك ؟ هل تبكين ؟
- أنا في المشفى والدي تعرض لذبحة صدرية وهو الآن في العناية المركزة
- متى حدث ذلك ؟
- منذ ساعة
- اهدأي قليلاً ، سيكون بخير إن شاء الله
- أنا خائفة ، عائلتي في الداخل خرجت لأتصل بك
- لاتقلقي كل شيء سيكون على مايرام ، لقد فاجئتني بهذا الخبر
- ربما خرج الطبيب ، سوف أذهب لأطمئن عليه
- حسناً حبيبتي ، طمنيني بما سوف يحدث إن لم تتمكني من الإتصال بي أكتبي لي كتابة
- حسناً

بعد هذه المكالمة تراجعت عن قراري وشعرت بالذنب ، ماذا لو حدث هذا الشيء بعد أن أبلغتها بقراري ، كنت سوف أحمل ذنبها إلى أن أموت

يا إلهي ربما حدث ذلك لأتراجع عن قراري ، ربما يريد الله أن نستمر لأنه يعلم بأن ظروفي سوف تتغير في الأيام القادمة سوف ألغي هذه الفكرة من

رأسي وأوكل الأمر إلى الله لا خيار عندي سوى هذا الخيار ، لاأريد أن أظلمها و أظلم نفسي بقرارٍ كهذا ، يجب أن لا أدع ضميري يقتل قلبي .

لقد مرت أزمة والدها على خير وخرج من المشفى بخير وسلامة ، لقد كانت ليلة عصيبة ، ولم نلتقي في اليوم التالي بسبب تلك الظروف ، لكن بقينا على تواصل مستمر ، وقمنا بترتيب موعد جديد بعد أن تحسن والدها ، وكان مكان اللقاء في منزلي ، وفي يوم الموعد استيقظت مبكراً وقمت بترتيب المنزل ليكون بأجمل شكل ممكن فمحبوبتي قادمة ، لكن في ذلك اليوم كانت الضيافة ناقصة لا يوجد أي نوع من أنواع المشروبات في ثلاجتي ، فوقفت محتاراً بين أن أطلب تلك المشروبات أو أنزل وأشتريها بنفسي ، فقررت أن أنزل بنفسي لأختارها باردة ، وفي طريقي إلى الماركت وجدت الحاجة فاطمة تكنس أمام دكانتها فقررت أن أذهب وأُسلم عليها ، بمجرد أن رأتني قالت لي :

- تعال ، اجلس

- كيف حالك اليوم يا خالة ؟

- بخير ، أريد أن أستشيرك بشيء

- ماذا هناك ؟

وضعت المقشة وجلست إلى جانبي

- هل تتكلم اللغة الإنجليزية ؟

- أجل ، قليلاً

- حسناً ، هناك شاب روسي وحبيبنه استأجرا شقتي الثانية وأنا لاأعرف الإنجليزية أريدك أن تتفاهم معه ، خذ و أتصل به ليأتي إلى هنا وتتفاهم معه (بيت الخالة فاطمة ليس ببعيد عن دكانتها لذا لن أن أتأخر)

- حسناً ، ماذا تريدين أن أقول له

- اتصل به في البداية وقل له أن يأتي ، وإلى أن يصل أشرح لك

اتصلت به وجاء إلى الدكان ومعه صديقته و كان اسمه "براندون " اتفقت معه على كل شيء ، وتم كل شيء تحت إشراف الخالة فاطمة وكما تريد ، لكن في هذه الإثناء كان بالي مشغول فأنا أرسلت إلى غارديني رسالة منذ أن استيقظت ولم تجب إلى الآن وهي لا تتأخر في النوم عادةً ، خرجت من دكانة الخالة فاطمة وأنا أحاول الإتصال بها لكنها لم تجب ، ازداد قلقي عليها فقررت أن أتصل بصديقتها كارولين لأول مرة منذ أن أخذت رقمها فأجابت على الفور :

- مرحبا كارولين أتمنى أن لاأكون قد أزعجتك

- أهلا بك ، لا أنت على الرحب

- أريد أن أسألك عن غارديني إنها لاتجيب على الهاتف هل تعرفين عنها شيئاً؟

- في الحقيقة لم أتواصل معها منذ مدة ، لكن ربما تكون مشغولة

- لم تنشغل عني هذه المدة أبداً من قبل لا أظن الأمر كذلك

- حسناً دعني أتصل باختها وأسألها ، ثم أعاود الإتصال بك

- حسناً ، أنا أنتظرك

عدت إلى المنزل دون أن أشتري شيئاً فأنا نسيت أصلاً لماذا خرجت من المنزل

وجلست انتظر مكالمة كارولين على أحر من الجمر ، لم يمُر عشر دقائق

وإذا بكارولين تتصل بي أجبت على الفور حيث كنت أراقب الهاتف بانتباه شديد في تلك الأثناء :

- مرحبا

- طمنيني ماذا هناك ؟

- أختها قالت لي بأن والدها علم بعلاقتها بك وصادر هاتفها ، هل أرسلت لها شيئاً على الهاتف ؟

- يا إلهي ، نعم أرسلت عدة رسائل منذ الصباح

- لا بد أن والدها رأى تلك الرسائل

- وهل هي بخير ؟

- لا تقلق هي بخير والدها لا يضرب أبنائه ، إنه أنسان متحضر

- لماذا صادر هاتفها إذاً ؟

- هذا تصرف طبيعي من كل أب يعلم أن ابنته تقيم علاقة عاطفية من وراء ظهره

- ماذا يجب أن أفعل برأيك ؟

- يجب أن تنتظر إلى أن يهدأ والدها ثم تذهب وتكلمه بنفسك ، عندما يتعرف عليك سوف يغير رأيه .

يا إلهي الموضوع أصبح أكبر مني ماذا سوف أقول لوالدها وظروفي معقدة إلى هذا الحد ، استبعدت ذلك الإحتمال ولم أستمع إلى نصيحة كارولين

لكن بقيت مُصراً على أن أفعل شيئاً لإنقاذها من تلك المصيبة ، لم يكن أمامي سوى الخالة فاطمة ، عدت إلى دكانتها مُسرعاً وأخبرتها بكل شيء ، وكلما كنت أخوص في شرح تفاصيل القصة كانت تعلو أصوات ضحكة الخالة فاطمة أكثر وكأنما أقرأ لها نصاً كوميدياً ، ثم قاطعتني وقالت

- ماذا تريد مني أن أفعل ؟ ونحن من دولتان مختلفتان ولغتان مختلفتان ، لن يصدق بأنني أُمك

- لا أريد ذلك ، أنا أريد أن تخبريه بأنكِ تعرفيني جيداً وأنك تعرفين تفاصيل العلاقة ولن أُخطئ مع ابنته

- يالك من أحمق أتريدني أن أكذب ، ما اسم تلك الفتاة ؟

- اسمها غارديينيا

- ماهي جنسيتها ؟

- إسبانية من أصول عربية

- وهل والدها يتكلم الت..؟

- نعم كانت قد قالت لي بأنه يتكلم

- حسناً أعطني رقم هاتفه

- ليس معي

- يا إلهي كيف تريدني أن أكلمه إذاً ؟

- إذهبي إلى منزلهم

- يا ولدي أنا كبيرة في السن

- حسناً سوف أُحضر لك رقمه

اتصلت مُجدداً ب كارولين وطلبت منها أن تحضر رقم هاتف والد غارديينيا من أختها ، فتمكنت من إحضاره بوقت قصير ، وأنا أعطيت الرقم للعمة فاطمة على الفور واتصلت به فأجاب بصوت غاضب :

- الو

- مرحبا

- مرحبا

- هل أنت والد غارديني ؟

- نعم ، من تكونين ؟

- أنا أُدعى الحاجة فاطمة ، وسمعت بأنك تعاقب ابنتك بسبب علاقة عاطفية

- من أين سمعتي ، ومن أين تعرفين غارديني ؟

- اصمت ولا تقاطعني ، هذا الولد أنا أعرفه جيداً وأعرف كل تفاصيل هذه العلاقة ، لا يوجد شيئاً يستحق أن تعاقب ابنتك عليه كل ما بينهم محادثات ومكالماتٍ هاتفية ولو حدث غير ذلك لكنت أتيت إليك بنفسي وقلت لك أعد تربية ابنتك ، وكنت أعدت تربية هذا الولد فهو مثل اولادي ، لاتكن أباً أحمقاً

- أنا أحافظ على ابنتي يا خالة

- وأنا أحافظ عليها أيضاً وأقول لك بأنها لم تُخطئ

- حسناً لنرى

- أعطني ابنتك لأُكلمها

صمت قليلاً ثم قال :

- حسناً ، انتظري قليلاً من فضلك
بعد قليل جائت غارديني لترد على العمة فاطمة التي لم تكن تعرفها من قبل
- مرحبا
- هل أنتي بخير يا ابنتي ؟
- نعم ، من معي ؟
- دعك من الأسئلة واستمعي لما سوف أقوله والدكِ سوف يعيد لكِ هاتفك الآن وإن لم يفعل سوف أُعاود الإتصال به مجدداً ، لا تخافي من شيء
- حسناً يا خالة ، شكراً على اهتمامك
- إلى اللقاء
الخالة فاطمة حلت المشكلة بالفعل ، كان اختياري صحيحاً حيث لم تمر نصف ساعة إلا ووجدت غارديني تكلمني على الهاتف ، لكن العلاقة أصبحت علنية والمسؤولية أصبحت أكبر والحسابات أصبحت أكثر تعقيداً ، لقد كنا تحت الرقابة الإلهية أما الآن فنحن تحت الرقابة البشرية والإلهية لايمكننا التراجع أو التوقف ، فكرة الإنفصال يجب أن تندثر لكن هل عرف والدها ظروفي ياترى ، هناك الكثير من الأسئلة كانت تدور في

ذهني في ذلك الوقت ولم أجد لها جواباً ولم يكُن من المنطقي أن أسأل غاردينيا عنها ، لأنني لم أصارحها بما أُفكر به ليس أمامنا سوى الدعاء وانتظار ما سوف يحدث في الأيام القادمة ، لقد انتقلنا إلى مرحلة جديدة من هذا العشق الذي كان من المفترض أن ينتهي .. رغماً عنا .

أتذكر كيف كان أول لقاء لنا بعد هذه المرحلة الجديدة من الحب لقد كانت أكثر ارتياحاً وأكثر طمأنينة وأكثر سعادة ، أما أنا فكنت أكثر حرصاً على أن لا أخون الثقة التي منحني إياها والدها والحاجة فاطمة ، كان اللقاء في مدينة ملاهي تقع على شاطئ البحر ، بدأنا نسترجع الطفولة معاً نلعب كالأطفال ، نصرخ ونضحك ونركض بلا وعي دون أن نكترث لمن حولنا ثم جلسنا نتناول غدائنا في مطعم أيضاً على شاطئ البحر وأجمل ماكان في ذلك اللقاء هو أن غاردينيا لم تعد تنظر إلى ساعتها ، لم تعد تخاف كلما دق هاتفها والأجمل من ذلك أنها لم تَعُد تشعر بالذنب أو تشعر و كأنها تخون أهلها ، كان شعرها ينساب مثل ريش النعام كلما مسه نسيم البحر وعيناها غلبت مياه البحر في اللون والنقاء ، وغلبت قلبي أيضاً حين جعلته يعشقها إلى هذا الحد ، كانت الأفكار تترابط ننظر إلى بعضنا البعض معاً ونبتسم معاً لا أحد يسبق الآخر ، و فجأة رفعت حاجبها ثم قالت لي :

- ماذا دار بينك وبين كارو ؟

- لم نتحدث سوى عنكِ
- وماذا تحدثتما ؟
- سألتها عنكِ وهي تواصلت مع أختك وأخبرتني بما حدث ، يجب أن تشكريها
- أشكرها ! هل تعلم أن كارولين هي من أخبرت والدي بعلاقتنا ؟
- لا أصدق ! كيف وهي من ساعدتكِ
- ساعدتني لتبدو أمامنا بريئة ، تظن بأنني لم أعرف
- كيف أخبرَته ؟
- أرسلت له رسالة على واتساب بحجة أنها تخاف عليَّ منك
ضحكت حينها ثم سألتها :
- ما السبب الذي يدفعها لذلك برأيك ؟
- الغيرة ، هي تحبني لكن تغار مني ومن أي شخص تشعر أنه أكثر منها سعادةً
- نعم ، الغيرة تقود الإنسان لإيذاء أصدقائه أحياناً ، لقد كان لي تجارباً سابقة مع هذا النوع من البشر إنهم أكثر خطورة من الأعداء ، كوني حذرةً منها ، ويفضل أن تبتعدي عنها نسبياً ، ولا تثقي بها
- نعم ، لذلك لم أُخبرها بعلاقتنا من قبل ، كنت أتوقع منها شيئاً كهذا
- أنا السبب إذاً ، أنا من جعلتها تعرف بعلاقتنا

- لا تلوم نفسك ، هذا درس وتعلمنا منه ، انظر إلى حكمة الله أرادت أن تضرني لكنها نفعتني دون أن تشعر
- نعم ، هذا لأن قلبك أبيض ونيتك صافية ، والأهم من ذلك أنكِ صادقة والله لا يضُر الصادقين .

دائماً ما كانت فلسطين حاضرة بيننا لم نكون نفوت أمسية أو مهرجاناً إلا ونتحدث به عن هذه القضية العظيمة ، وكانت غارديينا تتحدث الإسبانية والفرنسية والتركية ، لهذا كانت المسؤولة عن تنظيم الكثير من الأنشطة الدولية ، وكانت دائماً ما تُصر على تخصيص فقرة في كل مناسبة دولية للحديث عن القضية الفلسطينية ، كان هذا أكثر ما أحبه بها لأن فلسطين أمي أعشق من يعشقها وأُعادي من يعاديها ، كنت فخوراً جداً بذلك ومن جهتي كنت أُنظم تلك الفقرات المخصصة للحديث عن القضية الفلسطينية ، ونجحنا في تغيير الفكر الخاطئ عند البعض عن فلسطين وفي آخر مهرجان طلبت مني غارديينا أن أُلقي كلمة وكان الدافع من ذلك أن يعرف الناس من هو صاحب تلك الجهود ، لم يكن السبب مقنعاً بالنسبة لي لذا رفضت ذلك ، ولم يكن رفضي مقبولاً بالنسبة لها لذا وعدتها أن أكون حاضراً لكن دون أن أُلقي كلمة ، فوافَقَت

وأثناء تقديمها للمهرجان كانت تقف على المسرح مثل الفراشة ، وكانت الكوفية الفلسطينية تُزين كتفيها ، وعندما جائت فقرة فلسطين
دعتني لأصعد إلى المسرح وأقوم بتقديم تلك الفقرة ، لقد شعرت بالحرج الشديد حيث كان الأمر مفاجئاً بالنسبة لي ، وقف على المسرح ولم أكن أدري ماذا سوف أقول ، وبأي لغة سوف أتحدث ، فقررت أن أرتجل وقلت " نحن لا نريد أن نفرض أفكارنا على أحد ولا نريد أن نستعطف أحد لكن نحن نشعر فقط بأن هناك واجبٌ علينا فعله وهناك مسؤولية يشعر بها كل من يعرف الحقيقة ، هذه المسؤولية هي تقديم تلك الحقيقة للناس ، ليس من الممكن أن تجد قومٌ يقولون عن الشمس قمر ولا تقول لهم بأن هذه شمس فسطوعها يدل عليها .. وشكراً للجميع "
كم كنت سعيداً بما تفعله غارديانيا ، لم أكن أعتز بما أفعله أنا لأنني فلسطيني وهذا وجب الولد تجاه أمه ، فأنا أعمل واجبي الذي من الطبيعي أن أعمله
لكن غارديانيا ليست فلسطينية ، بعد أن انتهى المهرجان قررت أن أسألها
– هل تفعلين ذلك من أجلي ؟
- كيف من أجلك ؟
- أقصد أنك تفعلين ذلك كي أحبك أكثر أم أن لديك دوافع أخرى

- لا ، أنا أفعل ذلك من قبل أن أعرفك ، نحن تربينا على حب هذه القضية حتى أصبحنا نشعر بأنها وطننا الذي سُرق منا وأن لدينا حق في تلك الأرض مثل أي فلسطيني لاجيء يعيش في الشتات ولازال يحمل مفتاح بيته .

- بصراحة عجز لساني عن الشكر ، لا اعرف ماذا أقول لكِ

- هذا واجبي ، وكما تعتبر أنه فرض عليك ، فهو فرض علينا أيضاً

- أيُ زمانٍ ذاك الذي يستطيع أن يُنجب غارديليا أخرى ! .

على الرغم من كل شيء كانت قواعدي في الحياة ثابتة ولاتتغير ، مثل معاداتي للثقة المطلقة وكنت أقول دائماً أن الجميع خائنون حتى يثبتون وفائهم وأن من لم يخنك ليس وفياً بل لم تأته الفرصة بعد ، و ربما يخونك عندما تأتيه الفرصة ، وأن المُخلص الحقيقي هو الذي تأتيه فرصة لخيانتك ولايخونك وليس الذي يملأ سمعك بالكلام الجميل وبالنفاق والكذب لكن الوحيدة التي جعلتني أثق بها وأكسر كل تلك القواعد هي غارديليا بينما هي كانت تملك نبذة عن تاريخي مع النساء لذا لم تكن تثق بي في هذا الإتجاه ، حيث كانت تراني ضعيفاً أمام النساء وكانت تؤمن هي أيضاً بأن معرفة النساء داءٌ لا شفاء منه وأن تجاربي السابقة دليل على ذلك كان من الصعب إقناعها بأنني لست كذلك أبداً ، لكن الجميل في الأمر

أن هذا الوسواس لم يكن يُشكل خطراً على العلاقة ولم يكن سبباً للخلاف لأنني كنت حريصاً على أن لا أخونها ، وهي لم تكن تعزف كثيراً على هذا الوتر خوفاً من إفساد لحن الحب الذي نظمناه معاً ، وكانت تعرف متى تتكلم ومتى تصمت ، كانت تمتلك ذكاءً لا يوصف وهذا كان سبباً في انعدام الخلافات بيننا طوال فترة العلاقة ، حيث كانت الخلافات تنتهي قبل أن تبدأ باستثناء مرة واحدة و وحيدة حدث فيها خلاف كبير بيننا وكانت عندما نسيت عيد ميلادها ولم أُهنئها أو أُحضر لها هدية واحتفل معها كما فعلت هي في يوم ميلادي ، أنا شخص لايهتم كثيراً بهذا النوع من المناسبات وهي كانت على عكسي تماماً ، تهتم بتلك المناسبات بشكل مبالغ فيه ، وتقدس الحفلات ربما هذا يرجع إلى أنها عاشت طفولتها

في أجواء مليئة بهذا النوع من الإحتفالات ، قد عرفت أن أهلها أيضاً يقدسون المناسبات ، بينما أنا من عائلة لاتعطي اهتماماً لهذا الشيء ولا لغيره ... انشغلت في ذلك اليوم ولم يخطر على بالي يوم ميلادها يبدو أن حظنا سيء مع أعياد الميلاد ، حيث في كل يوم ميلاد يحدث إشكالاً ، جاء الليل وغارديניا لم ترسل لي أي رسالة طوال النهار على غير العادة ، فأرسلت أنا لها وكانت ترد بطريقة جافة ومختصرة على غير العادة أيضاً ، استغربت هذه الطريقة ولم يخطر على بالي السبب الحقيقي لذلك

ولم أُجادلها كثيراً حيث كنت مُتعباً ولا طاقة لي للنقاش ، بل على العكس
غَضِبتُ من ردة فعلها وتوقفت عن الحديث معها ، وهذه كانت الشرارة الثانية لاندلاع الحريق ، استيقظت في اليوم التالي صباحاً وأيضاً لم أجد أي رسالة منها ، لم تكن تطيق أن لا تحدثني طوال هذه المدة ماذا حدث! دخلت على واتساب لأرسل لها رسالة فاكتشفت أنها قامت بحظري ضحكت وقلت ، ماذا حدث لعقلها ! ، ذهبت إلى حساب الإنستغرام وفتحت قصتها (الستوري) فوجدت صوراً مع عائلتها يحتفلون بيوم ميلادها ، وبعد أن رأيت القصة بقليل قامت بحظري ، كانت تنتظر مني أن أدخل وأرى تلك الصور ، كي أعرف سبب زعلها مني قبل أن تحظرني وبالفعل عرفت السبب ، ولم أكن أراه سبباً يستحق كل هذه الأحداث لكن لم أُنكر بأنه من حقها أن تَزعَلَ مِني ، لذا قررت بيني وبين نفسي أن أُصلح خطأي ، لكن ليس اليوم عندما يروق لي أن أفعل ذلك سأفعل ثم جلست مع نفسي قليلاً وقلت "هي لم يهُن عليها أن تعكر عليَّ يوم ميلادي وجائت رغم غضبها واحتفلت معي ، لماذا أكون أنانياً و أُعكر عليها يوم ميلادها ! " قررت أن لا أنتظر إلى يومٍ آخر ، لكن ماهو العذر الذي سأقوله لها ، وكيف هي الطريقة التي سوف أصالحها بها ؟!

قررت أن أرسل لها هدية خاصة مع إحدى الشركات المختصة بتوصيل الهدايا ، وبالفعل اخترت لها هدية جميلة وثمينة وارسلتها مع بطاقة معايدة لكنها فاجئتني عندما رفضت الهدية ، حيث اتصلت بي الشركة المرسلة وأخبرتني أنها رفضت استلام الهدية ، ألهذه الدرجة ! هل فقدت صوابها ! هنا أصبحت أنا الأكثر غضباً وقررت أن لا أكلمها ولا أعاود الإتصال بها حتى ولو أدى الأمر إلى انتهاء هذه العلاقة ، لن أُكلمها مالم تعتذر لي استمرت القطيعة بيننا لثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع كانت الإختبارات الجامعية على وشك أن تبدأ وقد قررت أن أبدأ دراسة في ذلك اليوم وحاولت أن أصُب كامل تركيزي في الدراسة وأن لا أنشغل بغير ذلك وبدأت أحاول أن لا أُفكر فيما فعلته غارديينا ، وفي الخلاف الذي وقع بيننا دون خلاف أو اختلاف إضافة إلى أنني أوقفت عملي مؤقتاً في سبيل ذلك ، لكن في ذلك اليوم ربما كان قد راقَ ورَق قلب غارديينا ، وقررت أن ترفع الحظر عني وتتصل بي ، لكن قلبي كان لم يَرُق بعد ولم أُجب كررت الإتصال بي ولم أكن أجيب ، قررت حينها أن لا أُعطي أي اهتمام لها ، إلى أن تشعر بأن ردة فعلها كان مبالغٌ فيها عسى أن لا تُكرر ذلك وغارديينا ذكية جداً وستفهم ذلك سريعاً ، توقَفَتَ حينها عن الإتصال وأنا تابعت الدراسة ، لكنني كنت أفكر فيها ولم أستوعب شيئاً مما أقرأ ثم أرسلت لي رسالة نصية تقول " ضربني وبكى وسبقني واشتكا "

ابتسمت حينها ولم أرُد عليها ثم أرسلت رسالة أخرى " إن لم ترد لن أتوقف عن إزعاجك " فما كان أمامي سوى أن أتصل بها ، وأستمع إلى ما عندها وأقول ما عندي ، اتصلت بها و فتحت الخط لكن لم تتكلم وأنا كذلك بقينا صامتين لعشرون ثانية تقريباً ثم قالت :

- هل أنت غاضب ؟

- ما رأيكِ أنتِ ؟

- أنا من يجب أن أغضب ، أنت دائماً ما تشعرني أنني لا أخطر على بالك ولا قيمة لي عندك ، لقد قمت بحضرك لتفهم هذا الشعور

- أنا أدركت خطأي دون أن تفعلي كل ذلك ولم يكن هناك داعٍ لأن ترفضي الهدية ، لأنني أرسلتها تعبيراً عن أسفي

- أعلم أنني أخطأت ، أنا أصلاً ندمت كثيراً على هذا التصرف وهذا ما جعلني أُبادر في مصالحتك ، هل تريد أن نتصالح ؟

- ليس قبل أن تعتذري

- حسناً ، أنت أيضاً يجب أن تعتذر إذاً

- لا مانع لدي ، اعتذري أنتِ أولاً ثم أعتذر أنا

- حسناً ، أنا اسفة

- وأنا قبلت اعتذارك

- هيا اعتذر أنت أيضاً

- لا ، لن أعتذر

غضبت بشدة وقالت :

- أنا أسحب اعتذاري إذاً

ضحكت وقلت لها :

- لا تستطيعين لقد اعتذرتِ وانتهى الأمر

- يالك من محتال ، سوف تحتفل معي بعيد ميلادي كما فعلت معك

- كنت سأفعل ذلك دون أن تطلبين لكنك لن تعطيني مجالاً

- حسناً ، لنطوي تلك الصفحة متى سوف نحتفل ؟

- قبل أن تبدأ الإختبارات ، ما رأيكِ غداً ؟

- حسناً ، أين ؟

- أنا سوف أختار مكاناً مناسباً وسندعو أصدقائنا أيضاً

- لا ، أريد أن نبقى بمفردنا فأنا اشتقت إليك

- هل تأتين إلى المنزل ؟

- حسناً ، سوف أزورك غداً ونحتفل معاً

جائت في اليوم التالي وأقمنا حفلاً صاخباً وفي منتصف الجلسة قررت غارديניا أن ترقص ، لم أكن أعلم أنها ماهرة في الرقص إلى هذا الحد

كنت أُراقبها مبتسماً وكأنني أرى فراشة نادرة الوجود تطير أمامي ، ثم رقصنا معاً وأطفأنا الشموع وشربنا وأكلنا معاً ولم تكن ترغب في العودة إلى منزلها ، وأنا أيضاً لم أكن أرغب في ذلك ، فلم أشبع منها بعد فاقترحت عليها أن تطلب من والدها بأن يسمح لها في المبيت عند صديقتها ، كما أخبرته قبل أن تخرج بحجة أنها تريد إتمام بعض المشاريع الجامعية ، فطلبت ذلك من والدها ووافق بعد أن سأل عن تفاصيل صديقتها ، وبشرط أن لا تتأخر في العودة إلى المنزل في اليوم التالي يالها من ليلة ، لا نريد أن ننام سنعصر هذا الليل معاً وسنستغل

كل ثانية فيه ، لن نضيع وقتنا في النوم فليس في كل الأيام تكون غارديني في ضيافتي ، كانت واحدة من الليالي الخالدة التي لم و لن تتكرر في حياتي .

لم يمر يومان على هذا اللقاء التاريخي ، وكانت غارديني قد بدأت الإختبارات السنوية وأنا بدأت بعدها بثلاثة أيام ، ولم ننقطع في تلك الفترة من التواصل

لكن توقفت اللقاءات بيننا لمدة اسبوعين وكان عقدي السنوي في البيت الذي أسكنه على وشك الإنتهاء ، وكان علي إما تجديد العقد بسعر أعلى أو الرحيل إلى بيت جديد ، قررت أن أرحل إلى منطقة جديدة بمجرد الإنتهاء من الإختبارات ، وكانت المنطقة الجديدة التي سكنت فيها أيضاً ساحلية لكنها بعيدة عن منزل غارديني كثيراً ، وهذا لم الإختيار لم يعجب غارديني حينها ، لكن المنزل كان أقرب إلى جامعتي ، وفيه مزايا كثيرة ، أما اللقاء مع غارديني لن ينقطع

بالطبع مهما بَعُدت المسافة ، لكن سوف أشتاق للخالة فاطمة التي تعودت أن أراها في كل صباح ، سأحاول أن أزورها بين الحين والآخر هي الإخرى

انتهت فترة الإختبارات ورحلت من المنزل المليء بذكريات غاردينيا ، ورائحة غاردينيا ، وضحكات غاردينيا ، ودخلت منزلاً جديداً وكنت آمل أن تكون غاردينيا أول ضيفٍ يدخله ، في تلك الفترة قلت اللقاءات بيننا ولم تعد كما كانت بسبب بعد المسافة والإنشغالات الأخرى ، وللأسف الشديد لم يكن وجه ذلك المنزل الجديد خيراً عليّ فبدأت المشاكل تزداد من حولي والأمور تصبح أكثر

تعقيداً ، حيث قمت بفتح مشروعٍ خاص ولم ينجح ذلك المشروع ، بل تبعه الكثير من الخسائر المادية ، وكانت حالتي النفسية سيئة ، وحالتي المادية وصلت إلى حد الإفلاس ، لقد خسرت كل ما أملك في سبيل ذلك المشروع وكان من ضمن ما خسرته حينها الأموال التي ادخرتها لدفع رسوم الجامعة في السنة المقبلة ، حملت كل شيء على كاهلي ، وتحملت مسؤولية كل شيء بشجاعة تامة ، ولكن لم أتوقف عن الدراسة من فضل ربي أنني استطعت تعويض المبلغ وإكمال تعليمي الجامعي ، ولم أخبر أي أحد بما حدث معي حينها

تقدمت بنا الأيام وظروفي ازدادت سوءاً على سوء ولم أُكن أُشعرها بذلك كنت أوهمها دائماً بأن كل شيء على ما يرام بقي هذا التدهور سراً بداخلي كما اعتدت أن أفعل دائماً ، وهنا أيقنتُ أن بقائها معي بمثابة الحكم بالإعدام على أحلامها وطموحاتها ، ولأن قلبي لم يطاوعني على أن أُبادر في الفراق كنت أبحث عن

سبب يجعلها هي من يبادر بذلك ، في البداية كنت أتجنب أي فكرة قد تجعلها تكرهني ، لكن استسلمتُ لهذه الفكرة لاحقاً لأن الفراق والمحبة لا يجتمعان

ولا رحيل إلا بانعدام أسباب البقاء ، كان يجب أن أجد طريقةً أجعلها تبتعد عني لكن المهمة ليست سهلة فهي ربما تكتشف حيلتي وتعلم بأنني أفعل ذلك لتبتعد عني ، أول شيء خطر في بالي هو أن أقول لها بأنني كنت كاذباً معها وأن هناك فتاة أخرى تشغل قلبي ، لكن هذه حجة باهتة لن تمر عليها ثم أن قلبي لا يطاوعني أن أكذب عليها وعيني بعينها لكي تتركني ، فقررت أن أواعد فتاة أخرى وأمثل أنني أخونها هذه الطريقة تبدو أكثر منطقية ، اتصلت على الفور بصديقة لي وقلت لها أنني أريد الإجتماع بها في مكان عام ولم تمانع ذلك

وحين حل المساء خرجت لألتقي بتلك الفتاة وحين اجتمعنا قلت لها :

- ألم تتسائلي عن سبب هذه الدعوة ؟

- قلت لنفسي ربما اشتاق لي ، ولو أنني متأكدة بأنك لن تشتاق لي

- في الحقيقة هناك أمر آخر دعوتك من أجله

- قل لي ما هو ؟

- أريدك أن أجعل حبيبتي تبتعد عني

- لم أفهم ؟ من هي حبيبتك ؟

- هناك فتاة في حياتي أعيش معها قصة حب وأريد الإنفصال عنها لكن لا قلب لي أريدها أن تبادر هي بذلك

- وما دوري أنا ؟

- أريدك أن تمثلين معي بأننا نعيش قصة حب وأريدها أن ترى ذلك

- وما الفرق بين هذا وبين أن تصارحها ؟

- الفرق هو أنني لا أريدها أن تشعر بأنني أرغب في الإبتعاد عنها

- وهل الخيانة أقل وطئة من ذلك ؟

- لا أعلم ، هذا ما أراه صواباً

- لماذا علقتها بك منذ البداية إذا كنت غير واثق من أنك سوف تستمر معها ؟

- لأنني كنت على أمل أن كلشيء سيكون أفضل ، لاأريد أن أشرح لكِ ظروفي الشخصية

- اصغي إلى نصيحتي هذه إياك أن تنهي علاقتك بفتاة بخيانة حتى لو كانت هذه الخيانة وهمية ، آثار الخيانة لا يمكن أن تزول من قلب الفتاة حتى لو تزوجت عشرة بعدك ، لا تزرع في قلبها جرحاً ينزف طوال عمرها إذا كنت تحبها بالفعل

- ماذا أفعل إذاً ؟

- صارحها بظروفك المالية إذا كانت هي العائق وإن وافقت استمرا معاً

وإن رفضت افترقا بشرف ، ولا أظنها ترفض

هذا الكلام أعادني إلى نقطة البداية ، كلامها منطقي جداً

كيف كنت سأفعل شيئاً كهذا !

كيف لم أُفكر في عواقب ذلك الأمر ؟

لم أكن أدري لماذا أُعاند نفسي ، وأُعاهد نفسي على الفراق ألهذه الدرجة لا أثق بالقدر ، ولا أثق بأحلام الغد ، ربما التفسير المنطقي لذلك هو عقدة التأخير

التي رافقتني طوال حياتي وفي كل مراحل عمري ، لذلك كان أضعف الإيمان

أن يتأخر الحلم إن كان سيأتي ، ولا أظمن أن هذا التأخير سيأتي بعده فرجٌ أم لا ، وإن كان لا ، ماذا سيكون مصيرها ؟ وكيف ستكون حياتها معي

أنا لا أبالغ أبداً في الوصف بل أُهون منه كثيراً وأحرص على أن لا أغوص بتفاصيله الخفية ، وأعلم أن هناك الكثيرين عاشو هذا الصراع من قبل .

شبح غارديليا بدأ يلاحق ضميري بشكل مستمر ، ما الذي أفعله بهذا الملاك البريء ،لماذا أربط مصيرها بمصيري المجهول ، لماذا أعدها بشيء لا أضمن تحقيقه

لكنني في نفس الوقت أحبها ولا أريد التخلي عنها ، في تلك الفترة الصعبة قررت غارديليا أن تزورني في المنزل الجديد لأول مرة ، حيث اتصلت بي وأخبرتني

أنها قادمة صوتها لم يكن يوحي بأنها سعيدة لكنني لم أسألها قلت سوف أسألها عندما تأتي ، في الحقيقة أنا فرحت حيث كنت أمُر بفترة اكتئاب وقلت لنفسي

ربما هذه الزيارة ستغير مزاجي ، وترفع من روحي المعنوية وبعد أن انهيت مكالمتي مع غارديينا وبدأت بتجهيز المنزل استعداداً لقدومها تفاجئت باتصال هاتفي من كارولينا ، أجبت على المكالمة متسائلاً عن السبب :

- أهلا كارو

- كيف حالك ؟

- بخير ، هل أنتِ بخير ؟

- أنا بخير ، لكن أريد أن أخبرك بشيء هام

- ماذا هناك ؟

- في الحقيقة أريد أن أبلغك أن غارديينا ..

- مابها غارديينا ؟

- غارديينا قالت أنها سوف تتزوج من ابن رجل أعمال

- هل أنتي مجنونة ؟

- لست مجنونة ، هي قالت هذا الكلام لصديقتي

- ولماذا تبلغيني بذلك ؟

- كي لا تبقى في سباتك هذا

- حسناً ، شكراً لكِ

- أنت لا تصدقني أليس كذلك ؟

لم أجبها حينها لكنها تابعت القول :

- أريد أن أطلب منك طلباً

- تفضلي

- عدني أنك لن تُخبر غارديني بأنني أخبرتك بذلك

- حسناً أعدكِ

- أنا واثقة من أن الأيام ستثبت لك صحة كلامي ، إلى اللقاء

لم أعطي هذا الكلام اهتماماً فأنا أعرف غارديني جيداً وأعرف أن كارولين تغار منها وتريد أن تفسد هذه العلاقة بأي طريقة بسبب الغيرة ، استمريت في تجهيز المنزل لاستقبال غارديني ، وبعد حوالي ساعة ونصف وصلت غارديني إلى المنزل واستقبلها لكن لم يكن يخلو قلبي من بعض الوسوسة ، وكانت غارديني متعبة من المسافة الطويلة التي قطعتها ، ولم تكن على طبيعتها حيث كانت منزعجة قليلاً ولم تكن سعيدة ، وأنا لم أسألها تركت لها المجال لتبادر هي في ذلك إن كان

هناك شيئاً من هذا القبيل ، دخلنا إلى غرفتي ثم رمت حقيبتها و جَلَست على حافة السرير ثم تَنهدَت وقالَت دون أن تنظر إليَّ ، حيث كانت تنظر إلى الأسفل :

- لا أريد أن أعود إلى المنزل

ثم بدأت بالبكاء ، اقتربت منها وحاولت تهدئتها ثم سألتها :

- لماذا تبكين ؟ ماذا حدث ؟

- أهلي يمارسون الضغط علي منذ ثلاثة أيام لأقبل العريس الذي تقدم لي ، لم أعد قادرة على التحمل

- أي عريس ؟

- هناك رجل أعمال صديقٌ مقرب لوالدي ، طلب يدي لأبنه وعائلتي يرون بأنه مناسب لي ، لأنهم يعرفونه جيداً ويعرفون أهله

- وهل أبلغتيهم برفضك ؟

- بالطبع ، منذ أن عرفت بالأمر وعرفو أيضاً أنك أنت سبب رفضي

صمت ولم أعد أدري ماذا أقول ، أهلها محقين ولو كنت مكانهم لفعلت ما يفعلونه ، لكن لا أستطيع أن أبوح بذلك وأقلل من نفسي أمام أي شخص آخر أخشى أن أقول لها ارفضيه من أجلي فأضيع عليها الحياة الجميلة بحياة تعيسة

ولا أستطيع أن أقول لها اقبلي فتشعر بأنني أتخلى عنها وكنت أخدعها كل تلك السنوات ، كان الصمت أبلغ شيء في موقف كهذا ، نظرت إلي وقالت :

- ما بك أنت أيضاً ؟

- لا أعلم ، ربما حزينٌ على حالنا

- لا تحزن ، أنا أستطيع تحمل ذلك

- ما رأي أهلك بي ؟

- أبي يقول بأن أمامك الكثير لتكون نفسك لكن هذا الشاب جاهز للزواج

- معه حق ، لكن يجب أن يراعي ما يختاره قلب ابنته

- هو قال لي لن أُجبرك ، لكن أمي و أختي يحاولن كل يوم الضغط عليّ لأوافق

- أمك تحب المال أليس كذلك ؟

- لماذا تتحدث وكأن الأمر لايعنيك ، هل أنت مدرك أن هذا الذي يحدث من أجلك ؟

- نعم أدرك ذلك وأقدر اختيارِكِ لي ، لكنني لا أستطيع أن ألوم أهلك

- لم أطلب منك أن تلومهم ، فقط اشعرني بأنك خائف من أن تخسرني

- كيف أخاف وأنا أثق بكِ وبوفائكِ لي

- ماذا يجب أن أفعل ؟

- أنتي فعلتي ما يجب وانتهى الأمر

- حسناً لغير الموضوع

ثم نظرت إلى أرجاء الغرفة وقالت :

- دعني أرى بقية المنزل

- هيا بنا

بدأنا نتجول في المنزل وترى الغرف غرفة تلو الأخرى حيث أن المنزل كان كبيراً وكان أكبر من المنزل السابق :

- المنزل جميل بصراحة إنه أجمل من المنزل السابق والمنطقة هنا جميلة أيضاً

- لقد ازداد جمالاً بقدومك إليه

ابتسمت وقالت :

- هل زارك أحد هنا من قبل

- نعم زارني أصدقائي

- أقصد هل زارك فتيات ؟

قرصت خدها وقلت لها :

- و أي فتاة سوف تملأ عيني غيركِ !

ثم جلسنا في المطبخ قليلاً وقالت لي :

- هل يوجد نسكافيه ؟

- نعم ، في الخزانة الأولى

- سأعمل لي ولك

وبدأت تُحضر النسكافيه ، لم تكن بخير لكنها كانت تحاول أن تكون بخير

نهضت إليها وقلت لها ، لن تحاربين وحيدة سأحارب معكِ كما دخلنا هذا الطريق معاً سنكمله معاً ، فرحت وبدأت الدموع تتراقص في عينيها وعانقتني بقوة

ثم قالت لي :

- لقد جئت من أجل سماع ذلك منك ، و خشيت أن أذهب دون أن أسمعه

ثم ألقت أكواب النكسافيه في حوض المغسلة وقالت :

- لا أريد النسكافيه ، أريدك أنت ...

وكانت ليلة "غارديئية النكهة " .

استطاعت غارديئيا أن تقع عائلتها بوجهة نظرها ، وأبلغو عائلة الشاب بأنها لا تفكر في الزواج حالياً ، ولم يكن لي أي دورٍ في ذلك الحدث كل ما قدمته كان في إطار الدعم المعنوي ل غارديئيا ،كانت سعيدة جداً بعد أن تمكنت من رفض

هذا الشاب والتخلص من ضغط العائلة ، لكن بعد أن تم ذلك بيوم واحد وجدت رقماً مجهولاً يتصل بي ، وعندما أجبت كان والد غارديني :

- مرحبا

"هذا الصوت ليس غريباً لقد سمعته من قبل ، لكنني لا أتذكر أين "

- أهلاً

- كيف حالك ؟

- بخير ، من معي ؟

- أنا والد غارديني

- أهلاً بك يا عم ، كيف حالك ؟

- بخير ، كنت أود أن ألتقي بك

- لا مشكلة لدي ، في الوقت والمكان الذي تريده

- أنا أفضل أن نلتقي في منطقة متوسطة كي لا يقطع أحدنا مسافةً طويلة

- نلتقي أينما تريد

- حسناً غداً سوف أرسل لك موقعاً وتأتي إليه ، ولاتخبر غارديني بهذا اللقاء

إنه لقاء رجلٍ لرجل

- حسنا يا عم

- إلى اللقاء

من الواضح أن سبب هذا اللقاء هو غاردينيا ، لكن لم أكن أعرف محتوى اللقاء أو نوع الحديث وخصوصاً أنني لم أكلم والدها من قبل ولم ألتقي به ، لكنني لم أكن قلقاً بشأن ذلك اللقاء فأنا أعرف عنه بأنه رجلٌ متحضر و قد تحدث معي بطريقة مهذبة ، وفي اليوم التالي ألتقيت به في مقهى شعبي ولم أستغرب ذلك لأنني عرفت مسبقاً أنه رجلٌ يحب الأماكن والأشياء الأثرية ، حين وصلت كان مبتسماً ووقف ليصافحني ، ثم جلسنا لنبدأ الحديث :

- ماذا تشرب ؟هل أطلب لك قهوة ؟

- أشكرك ، أنا لا أشرب القهوة

- يجب أن أضيفك شيئاً لا فرار من ذلك

- حسناً سآخذ ماء

طلب لي ماء وعصير برتقال

- كيف هي علاماتك الأخيرة ؟

- لقد نجحت في أغلب المواد باستثناء مادة واحدة

- لا بأس المهم أنك تتقدم في دراستك ، أنت تعلم أنني دعوتك إلى هنا من أجل غاردينيا

- نعم توقعت ذلك

- هل أخبرتك بأنه تقدم لها عريس ؟

- نعم أخبرتني

- وماذا قلت لها ؟

- وهل سوف تصدقني إن قلت لك ؟

- نعم ، لو كنت تريد أن تكذب لكذبت منذ البداية ، وقلت بأنها لم تخبرك

- هذا صحيح ، في الحقيقة أنا أحبها لكن أخشى أن لا أستطيع أن أعوضها عن شيءٍ خسرته من أجلي ، ولا أستطيع أن أتخلى عنها فأجرح قلبها وقلبي

- من أين تصرف على نفسك ؟

- من عملي ، وأحياناً والدي يساعدني

- أنا قلت لك في الهاتف بأن هذا حديث رجلٍ لرجل ويشهد الله بأنني أرى أمامي رجلاً بمعنى الكلمة وأرى أنك قادرٌ على أن تحمل المسؤولية ، لكن هذا يتطلب منك وقتاً طويلاً ومعاناة كثيرة وصبرٌ كثير ، أنت تشبهني عندما كنت شاباً ، كنت مكافحاً وطموحاً مثلك ، وأنامتأكد من أنك سوف تصل إلى

طموحك ، لكن كما قلت لك ربما تحقيق هذا الطموح يتأخر ، وتطول معاناة ابنتي كلما طال هذا التأخير وأنا لا أريد لابنتي أن تعاني وأنت غداً لن تقبل لابنتك أن تعاني ، خلاصة القول أنا كنت شاباً مثلك لذا أفهمك وأنت ستصبح أباً مثلي وحينها سوف تفهمني .

- أفهمك من الآن ، وأنا أفكر في ذلك ربما أكثر منك وأخشى على غارديني من المعاناة أكثر منك لكن لا أستطيع أن أتخلى عنها

- غارديني لن تقبل أي عريسٍ لطالما أنت موجود في حياتها ، إذا كنت تحبها تمنى لها الأفضل ولا تكن عقبة أمام سعادتها

- لكن يا عم ..

- سعادة ابنتي ليست معك ، غارديني لن تكون سعيدة لو تزوجتك

- ما هو المطلوب مني ؟

- اترك غارديني ، بادر أنت في إنهاء العلاقة ، كن شجاعاً وضحي بسعادتك من أجل إسعاد من تحب

لم يقل شيئاً جديداً في ذلك اللقاء فهو قال كل الذي بداخلي ، كل الذي أفكر فيه منذ سنوات ، كل ما أنا مقتنع به ، وكل ما حاولت القيام به من قبل وفشلت ، وعدته في نهاية اللقاء أن أبتعد عن ابنته لأفسح لها الطريق مع غيري

سألت نفسي حينها لماذا دائماً يجب أن أضحي من أجل سعادة الآخرين ولا يضحي الآخرين من أجل سعادتي ، ولماذا لا يحق لي أن أكون سعيداً ؟!

لكنني كنت واثقٌ من أن قلبي كبير ويتسع لمثل هذه التضحيات ، لم يخلق الله شيئاً عبث ، ذلك الرجل لا يهمه أمري كل ما يهمه هو أن تكون ابنته سعيدة

وأنا لا يهمني إرضائه كل ما يهني هو أن تكون غارديينا سعيدة ، لذا وافقته الرأي ولم أعاند و أصر كعادتي ، أيقنت أن اللحظة التي كان لابد من قدومها جائت بطريقة غير متوقعة ، وأن تلك الأحداث السابقة لم تكن سوى صدف عابرة ، يجب أن أستعد لاستقبال الليالي المظلمة من جديد ، يجب أن أستعد لصراع القلب والذاكرة مجدداً ، لكن الوقت لا زال مبكراً ليس هذا الوقت الذي توقعته ، قررت أن ألتقي بغارديينا وأبلغها بقراري بشكل مباشر و دون تردد

اتصلت بها في تلك الليلة وقلت لها :

- هل ستنامين أو سوف تسهرين ؟

- لم أنعس بعد ، لماذا تسأل ؟

- أنا لن أنام هذه الليلة سوف آتي إليكِ

- الآن ؟

- نعم ، يجب أن نجلس ونتحدث ، ربما أستطيع النوم بعدها

- ما بك ؟ ماذا يشغل بالك ؟

- عندما أراكِ أشرح لكِ

- حسناً ، إلى أن تصل سوف أتمكن من الخروج لأن أهلي ينامون في مثل هذا التوقيت

- أنا قادم إذاً

خرجت في منتصف الليل واتجهت نحو بيتها وكانت مدة الطريق ما يقارب ساعة ونصف ، لكن لم يكن يهمني شيئاً سوى أن أراها في تلك الليلة ، وصلت إلى الحديقة التي خلف منزلهم وأخبرتها بذلك فجائت على الفور حيث كان أكلها نائمون جائت تركض نحوي وعانقتني طويلاً حيث كانت خائفة من الخروج في هذا الوقت من الليل ثم جلسنا وبدأت تنظر إلي بتلك العيون البريئة وتنتظر مني أن أبدأ الكلام الذي جئت من أجله :

- غارديניا يجب أن أقول لك ما بقلبي

- ماذا تقصد ؟

- أنتِ فتاة طيبة ، ومن أفضل ما رأيت في حياتي لكن أنا لم أحبك

- هل جئت لتمازحني ؟

- لم اقطع كل تلك المسافة في منتصف الليل ، كي أمازحكِ

- كيف لم تحبني ؟ ماذا تسمي ما مضى ؟

- كنت أحاول أن أقفل بكِ جرحاً قديماً ، وحاولت أن أجعل هذا الحب حقيقة لكنني فشلت ، ضميري لم يعد يطاوعني بأن أستمر في خداعك

بقيت صامتة ولم تتكلم فقط كانت تنظر إلي باستغراب ، ثم أكملت حديثي :

- أنتِ تستحقين من هو أفضل مني

- لماذا قررت أن تقول ذلك الآن ؟

- لأن ضميري آلمني عندما قطعت نصيبك مع ذاك الشاب ، ربما هو يحبك بصدق ، ربما أضعت عليكِ فرصة لتعيشين حياة سعيدة

- أنت تقول ذلك ، كي أوافق على ذاك الشاب ؟ من طلب منك ذلك هل هو أبي أم أمي ؟

- ضميري هو من طلب مني ذلك ، بقائت معي مضيعة للوقت وللعمر

- حسناً ، عُد من حيث أتيت وأنا سأعرف من طلب منك ذلك

نهضت وذهبت باتجاه بيتها مسرعةً ركضت خلفها وقلت :

- انتظري ، دعيني أوصلك إلى بيتك

بكت وقالت وهي تنظر للبعيد :

- بينما كنت أبحث عن مزاياك كنت مشغولاً في البحث عن عيوبي

بينما كنت مشغولة في تجبير كسورك كنت تفكر كيف ستبدأ في كسري

أنت لم تعد مصدر أمان بالنسبة لي بل أصبحت مصدر خوف ، ارحل من هنا .

لم اعد أدري ماذا أفعل ، هذه العبارة جعلتني أشعر بشعورٍ لم يكن بالحسبان كيف أصبح أنا مصدر خوفٍ لغارديينيا وأنا أفديها بنفسي ، كيف أصبح سبب بكاء غارديينيا وأنا من يسمح دموعها عادةً ، كيف أتجرأ وأقول لذلك لفتاةٍ حاربت من أجلي ، كيف أتركها في منتصف المعركة وأنسحب ! أكاد أجن ، ليتني ما أتيت إلى هنا ، هذه من الحماقات التي لن أسامح نفسي على ارتكابها ، بل إنها وضاعة ليست مجرد حماقة ، شعرت بندمٍ لم أشعر به من قبل ، ولم يخفف عني العذاب كوني أفعل ذلك من أجلها ، ماذا أفعل هل اتصل بها مجدداً واسحب كلامي أو أعود إلى المنزل وأبقى على كلامي ، أخيراً قررت أن أعود إلى المنزل فهي لن تجيب لو اتصلت بها ، لا خيار أمامي سوى أن أذهب إلى المنزل وأستجمع قواي العقلية مجدداً لأبحث عن مَخرجٍ لتلك الحماقة التي ارتكبتُها ولن أسامح نفسي عليها حتى ولو سامحتني هي ، نمت بأعجوبة في ذلك المساء

وعندما استيقظت في اليوم التالي قررت أن أكتب لها رسالة عساها تمتص صدمتها قليلاً لم يطاوعني قلبي أن أتركها تنزف ولا أبالي فكتبت لها :

"كان قاسياً ذلك الشعور عليكِ أعلم ذلك ، ووددت لو أنني أستطيع حمله عنكِ هو أيضاً ، و وددت لو أنني خرجت من هذا الحب قتيلاً مقابل أن لا تمسك نسمة هواء لكن لايمكن أن يخرج طرفاً من الحب دون إصابة ، الإحتمال الأكبر يا غارديينا هو أن يخرج أحدنا قتيلاً والآخر جريحاً و يليه أن نخرج كلانا جرحى لكن لن أسمح بأن نخرج كلانا قتلى ، فما كنت أسمح بأن تموتين مهما كلف الأمر ، سيؤثر عليكِ الأمر لا مفر من ذلك لكنني أخذت أكبر قدرٍ ممكن من كل شيء لقد أخذتُ العبء الأكبر والجرح الأكبر والخسارة الكبرى ، حتى أخفف عنكِ من كل شيء ولا يبقى إلا ما لا يؤذيكِ ولو كان الأمر بيدي

لأخذت كل شيء لكن هذا غير ممكن حيث هناك قواعد ثابتة في الحب لايمكن تجاوزها كـ أن يعاني الطرفان بعد الفراق فتنسى الأنثى سريعاً لأنها أخذت العبء الأصغر ويبقى الرجل متألما طوال حياته لأنه أخذ القَدر الأكبر من الألم "

تمت القراءة ولم يتم الرد ....

أنا كنت أتوقع ذلك ولم ألومها على تجاهل رسالتي ، مع أن هذه التجاهل أكثر ما كان يزعجني ، لكن ماحدث كان قاسياً عليها ، فأنا أيضاً عدت إلى دوامة

الندم من جديد ، وصرت أخشى أن لا تثق غارديينا بمودتي بعد الآن ، و كنت أستشعر عودتنا من داخلي لكن في نفس الوقت كنت أخشى أن لا نعود كما كنا لأننا لم نعد كما كنا ، وبعدها بقليل كتبت لها رسالة أخرى :

" لقد انتصر عليَّ قلبي في كل المعارك لأنني كنت أرفض دائماً أن أسير عكس ارادته فأجرحه ، وها أنا اليوم في معركة جديدة ولأول مرة أدعو بكل حواسي أن ينتصر قلبي عليّ فأنا لا أريد أن يكون أول انتصار لي على قلبي ضد من أحببتها بصدق وفي أكبر معركة على الإطلاق ، ولا أريد أيضاً لهذه المعركة بأن تطول ، فكلما طالت المعركة ازداد عدد الضحايا ، وقلت فرحة النصر "

تمت القراءة أيضاً ولم يتم الرد ..

الفصل الرابع

لم أكن أتصور أن القصة بتفاهة شمعة تنتهي بنفخةٍ واحدة ، لقد توقفت العلاقة نهائياً وانقطعت كل سُبل الإتصال بيننا ، يبدو أنها صدقت ما قلته لها

بعد أن توقف العلاقة بيننا بأسبوع جائني ضيفٌ مفاجئ إلى المنزل ، بينما كنت أغسل ثيابي سمعت جرس الباب يدق ، فتحت فوجدت كارولين على الباب :

- أهلاً كارو

- هل يمكنني الدخول ؟

- بالطبع ، تفضلي

جلسنا ولكن في الحقيقة كنت مستغرباً فسألتها :

- من أين عرفتي عنواني ؟

- من غارديينيا

- هل هي من أرسلتكِ ؟

- لا ، هي قالت لي أنك تسكن هنا وأنا أعرف هذه المنطقة جيداً حيث كنت أعيش هنا ، عرفت بيتك من خلال الوصف الذي وصفته لي

- وما سبب هذه الزيارة ؟

- لاشيء كنت قريبة من هنا فمررت لأسلم عليك ، هل جائت غارديينيا إلى هنا من قبل ؟

- لا ، لم تأتِ

- وكيف عرفت منزلك ؟

- أنا أرسلت لها الموقع والصور عندما استأجرته لآخذ رأيها

- حاولت الإتصال بها لكنها لا تجيب ، ما الأمر يا ترى ؟

- لا أعرف

- هل تتواصل معها ؟
- لماذا كل هذه الأسئلة ، ماذا تريدين ؟
- أريد أن أقول لك بأن غارديني في المشفى بسببك وبسبب حماقة والدها
كان هذا الخبر مثل الصاعقة بالنسبة لي :
- في أي مشفى ؟
- وضعها الصحي أصبح جيداً ، لا تقلق هي أصلاً لاتريد أن تراك ذهابك
إليها سيعقد المشكلة
- الآن أصبحتي تحبين غارديني ؟
- ومن قال لك أنني كنت أكرهها ؟!
- ألم تحاولين إفساد علاقتنا من قبل ؟
- وهل كان كلامي كذباً عندما أخبرتك عن أن هناك عريس تقدم لها ؟
- نعم ، أنتي قلتي بأنها سوف تتزوجه وهي كانت ترفضه
- أختها قالت لي ذلك وأنا أخبرتك لتفعل شيئاً قبل فوات الأوان وليس
لأفسد علاقتكما
ثم بكت واتجهت نحو الباب لتغادر ، أمسكتها من يدها وقلت لها :
- اجلسي قليلاً ، لنتحدث
نظرت إلي قليلاً ثم جلست مجدداً فقلت لها :
- هل عرفت غارديني بأن والدها وراء ذلك ؟

- نعم ، عرفت لكن هذا لن يجعلها تسامحك ، لأنك استجبت لوالدها وتخليت عنها ولم تُقَدِر أنها تحمل ضغوطات عائلتها طوال تلك الفترة ولم تتخلى عنك

- هي على حق أنا لا ألومها ، لكن كلام والدها كان قاسياً جداً

- لم يكن أقسى من كلامك لها

- هل هي من أخبرتكِ ؟

- نعم ، هي من أخبرتي لم تجد غيري من أصدقائها يعلم بتلك العلاقة

- هل أطلب منكِ طلباً ؟

- اطلب

- اتصلي بها لأطمئن عليها ، ولا تخبريها بأنكِ هنا

- حسناً ، لكن بشرط

- أي شرط ؟

- إن تصالحت معها لا تخبرها بأنني جئت إلى هنا

- لا أعتقد أننا سوف نتصالح ، على أية حال لاتقلقي لن أخبرها

اتصلت كارولين ب غاردينيا وفتحت مكبر الصوت ، أجابت غاردينيا وكان صوتها متعبٌ جداً ، لم أكن قادر على استيعاب فكرة أن غاردينيا تعاني بسببي

ظننت أن والدها قد آذاها ، فطلبت من كارولين أن تسألها ما الذي حدث معها بالتفصيل ، فأخبرتها أنها تعرضت لهذه الوعكة نتيجة نقص التغذية وسوء حالتها النفسية ، أنهت كارولينا المكالمة ، ولم أكن مطمئنٌ على غارديينيا وفي نفس الوقت لا أستطيع فعل شيء فهي لن تتقبل مني أي شيء بعد ما قلته في تلك الليلة

حاولت أن أستعين بكارولينا لإيجاد حل مناسبٍ لتلك الأزمة :

- ماذا تقترحين علي ؟

- أقترح أن تبقى بعيداً هذه الفترة و أن تدعو الله بأن تنسى غارديينيا ما حدث معها بسببك

- أنا في مأزق افهميني ، لقد وقعت بين نارين ولم يكن أمامي سوى إنقاذ غارديينيا

- إنقاذها من ماذا ؟

- من الشرخ الذي كان سيحدث في أسرتها ومن إهدار الفرص التي تأتي إليها

- لا تقُل لي أنك فعلت ذلك لأنك تحبها ؟

- لماذا إذاً ؟

- لم أراك دخلت المشفى وعانيت كما عانت هي ؟ ها أنت غير مبالٍ

- من قال لكِ أنني غير مبالٍ ؟ هل دخلتي إلى قلبي ؟

- لم أدخل إلى قلبك ولن أدخل إلى قلبك ، كل ما يهمني الآن هو إنقاذ صديقتي

- جيد ، كوني واسطة خيرٍ إذاً واقنعي غارديينا أنني لا زلت أحبها

- حسناً ، سأحاول أن أرفع عنك الذنب وأقول بأنك كنت مُجبراً على ذلك

انتهت تلك الزيارة ولم أفهم هدف كاورلينا منها ، أحياناً كنت أشعر أنها جائت من أجل غارديينا وأحياناً كنت أشعر أن غارديينا آخر همها وقد جائت لأهدافٍ أخرى ، كان المهم عندي هو أن لا تعاني غارديينا بسببي أو بسبب غيري

لم أنتظر كثيراً وقررت أن أتحرك ، اتصلت بوالدها ولم يكن يجيب على مكالماتي في البداية كررت اتصالي عدة مرات حتى رد في المرة الخامسة :

- آلو

- مرحبا

- أهلا بك

- أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط

- ماهو سؤالك ؟

- من يتحمل مسؤولية ما حدث لغارديينا أنا أو أنت ؟

- أنت

- أتدري لماذا ! لأنني أشجع منك وأكثر منك رجولةً أعطيتك كلمة بأن لا أقف عائقاً في طريق ابنتك وفعلت ذلك ، أما الآن ابنتك تعاني فهل ترينا رجولتك في وقف معاناتها ؟

- هل أنت من سيعلمني كيف أحافظ على ابنتي ؟

- لا ، أنا من سوف يعلمك أن نظرتك الطبقية للبشر سوف تقتلك يوماً ما

- الموضوع ليس كذلك أنا شرحت لك الأمر ، ثم إن غارديانيا لم تعد تريدك إن أردت سوف أدخل وأعطيها الهاتف لتكلمك ، وحاول أن تصالحها إن استطعت اقناعها سأكون أول من يدعمكم وإن رَفَضَت عليك نسيانها للأبد

- حسناً ، أعطها الهاتف

- حسناً ، انتظر

دخل إلى غرفتها في المشفى وكان الخط مفتوحاً سمعته يقول لها :

- صديقك يريد أن يكلمكِ

- لا أريد أن أكلمه

- هل أنتِ متأكدة ؟

- أبي ، أرجوك قل له أن ينساني

- حسناً يا حبيبتي لا تنزعجي

خرج من غرفتها والخط مفتوح وقال لي :

- أظنك سمعت الإجابة

- حسناً ، اعتني بها جيداً من فضلك وأعدك أن لا أقترب منها طالما أنها بخير من دوني

- وهو المطلوب ، أنا أيضاً أتمنى لك التوفيق يا ولدي

وهذه كانت آخر مرةٍ أسمع فيها صوت غارديينا ، ومنذ هذه اللحظة قد بدأ الإنفصال رسمياً ، لا أستطيع أن أكون ثقيلاً على أحد ، ومن جهة أخرى أنا أعرف غارديينا جيداً عندما تكره إنساناً تتصرف هكذا .

لقد عشت على وهم عودة غارديينا لمدة شهر ونصف كنت أتوقع منها رسالة في كل حين وكنت أتفقد هاتفي كل لحظة ، كنت على أملٍ بأنها ستعود فغارديينا لا تقدر على فراقي ، لكن كلما كانت تطول المدة كان يقل ذلك الأمل ، ولأنها تحفظ قوانيني جيداً تعرف بأنها هي من يجب أن يبادر في العودة لأنها هي آخر من تسبب في القطيعة ، لكن ذلك الأمل قد انتهى بشكل عندما تفاجئت بعد مرور شهر ونصف أن وصلني نبأ خطوبة غارديينا على ذلك الشاب الذي رفضته في البداية ، وشاهدت صور خطوبتها على انستغرام كانت تبدو سعيدة لكن هذه الخطوبة لم تستمر وتم فسخها بعد مرور شهرين ونصف تقريباً

في الحقيقة لم أعرف السبب الحقيقي ولم أكن مهتماً لأعرف ، ثم إن علاقتي قطعت بجميع من هم على صلة بغارديينا ، ولا أستطيع معرفة ذلك حتى وإن حاولت

لكن المفاجئة الأكبر كانت عودة غارديينا لي بعد مرور عشرة أيام على فسخ خطوبتها ، حيث كنت أسهر مع أصدقائي في منزل صديقاً لنا وكنا قد عقدنا النية على المبيت عنده في المنزل لنخرج في اليوم التالي ونتسوق معاً

تفاجئت حينها برسالة نصية من غارديينا تقول فيها :

" كيف حالك " في الحقيقة لم أفرح بتلك الرسالة كما كان يجب أن يحدث لو كانت هذه الرسالة قد جائت في وقت أبكر من ذلك ، شعرت أنها لم تعد تعنيلي شيئاً ربما تجمدت تلك المشاعر بداخلي ، ربما جائت هذه الرسالة بعد فوات الأوان ، شعرت أنها كباقة وردٍ مهداة لميت فماذا يفعل الميت بالورد ؟

على الرغم من ذلك أجبت على رسالتها ففي النهاية هذه غارديينا التي استوطنت قلبي ، قلت لها :

- أنا بخير كيف حالكِ أنتي ؟

- أنا لست بخير وأنت السبب في ذلك ، لن أسامحك

- أنتِ تعرفين جيداً بأنني لا أتقن العِتاب ، لكنك أنتِ من رفضتِ الحديث معي و قتلتي كل شيء بعد أن خطبتي ذلك الشاب

- أنا خطبته تحت الضغط ، وبعد أن أدركت أنك لا تستحق ما فعلته من أجلك

- أنا أخطأت كثيراً لكنني لم أذهب إلى غيرك ، ولم أنساكِ بتلك السرعة

- من قال أني نسيتك ؟ لماذا أكلمك إذاً ؟

لم أجبها تابعت وقالت :

- لماذا لاتجيب ؟

- ليس عندي ما أقول يا غارديينا

- لكنني تركته من أجلك

- هل أنتِ من تركه أو هو من ترككِ ؟

- هو تركني عندما علم بعلاقتنا

- ومن قال له ؟

-كارولينا

- هذه شيطانة تمشي على الأرض

-كارولينا تملك تسجيلاً لك وهي في منزلك عندما كنت أنا في المشفى وقامت بإرسال هذا التسجيل إليه

- الآن فهمت سبب تلك الزيارة الغريبة

- نعم من جهة تثبت لي أنها تحبني ومن جهة تثبت لك أنها مخلصة ومن جهة أخرى تقوم بإفساد حياتي

- إذا أردتي أتصل بخطيبك السابق وأشرح له الموقف

- لا أنا لست حزينة لفراقه ، ولا يهمني أن أعود إليه

- لكن لا أريد أن أكون سبباً ف....

- أنا أريد أن أعود إليك أنت

لقد مسحت تلك العبارة ولم أرسلها بعد أن قرأت ما كتبته هي وكتبت لها :

- الموضوع ليس بتلك السهولة

- لكن أهلي لا يمانعون ذلك

- ولماذا فعلو ذلك منذ البداية ؟ أليسو هم السبب ؟

- هل لا زلت تحبني ؟

- لا أدري ، لو لم ترسل كارو تلك التسجيلات لكنتي الآن مع خطيبك في البداية خطبته لتنتقمين مني ، والآن تريدين أن تعودي إلي لتنتقمي منه بربكِ ، كيف لي أن أصدقكِ ؟

- هل ترفض عودتي ؟

- بل أرفض تصديقكِ

- ألهذه الدرجة أنا رخيصة الثمن ، أعود لك من جرحي وترفضني ؟

- ألم ترفضين عودتي أنتِ أيضاً ؟

- لقد كنت جريحة و أعاني بسببك

- وأنا الآن جريحٌ وأعاني بسببكِ

- الحديث عبر الهاتف لايجدي دعنا نلتقي

- متى وأين ؟

- في منزلك غداً

- حسناً أنا سأعود بعد الرابعة إلى البيت

- حسناً سآتي إليك بعد ذلك الوقت

لم تحرك بي شيئاً تلك المحادثة ولا حتى اللقاء كان له أثر بداخلي لقد فقدت ثقتي بها ، و منذ أن كنت طفلاً لم أجدد ثقتي بأحد ، لكن سأعطيها الفرصة لعل عينيها تستطيع إقناعي .

في اليوم التالي كنت قد عدت إلى المنزل مبكراً خشية أن أتأخر عليها ربما شوقي الغير معلن دفعني للقيام بذلك ، وصلت إلى المنزل في تمام الساعة الثانية ظهراً

وأعددتُ نفسي لتلك الزيارة ، وفي تمام الساعة الثالثة اتصلت بي وسألتني ما اذا كنت في المنزل أو لا ، لتتأكد قبل أن تخرج من بيتها ، وعندما علمت أنني بالمنزل قالت لي بأنها ستخرج على الفور ، بالفعل وصلت في الساعة الرابعة والنصف ، وصلت و قرعت الجرس ، وحين فتحت لها الباب لم تكن غارديينا التي أعرفها حيث كان الضياء غائبٌ عن وجهها هذا ليس وجه غارديينا المضيئ وهذه ليست شفتاها الورديتان ولا تلك عيناها اللواتي كانا يسلبن اللب ، في الحقيقة أشفقت عليها وكان لسان حالي يقول لماذا أوصلتِ نفسك إلى هنا

دخلت إلى المنزل ووقفت تنظر إلي كنت أعلم أنها تنتظر عِناقاً لكنني لم أعانقها

دخلنا إلى غرفتي وجلسنا إلى جانب النافذة ، قلت لها :

- لم أكن أتمنى أن أراكِ في هذا الحال ، لقد فعلت كل ما فعلته في سبيل أن تكونين سعيدة

- لو لم تفعل ما فعلته لما رأيتني في هذا الحال

- كان عليَّ أن أتمنى لكِ الأفضل

- دعنا من ذلك ، أنا لم آتي إلى هنا كي استعطفك أنا جئت لأقول لك أن كلانا أخطأنا وكلانا يجب أن نسامح بعضنا

- أنا سامحتك منذ البداية

- سامحتني ، لكنك لا تريد أن أعود إليك أليس كذلك ؟

- لقد تأخرتي كثيراً يا غارديينا

-صدقني أنني كنت أعاند مرة والقدر يعاندني ألف مرة ، هناك شيءٌ ما يريد أن نكون معاً ، لا تعاند القدر مثلما فعلت وتندم مثلما أندم أنا الآن

- أعترف لكِ بأنني لا زلت أحبكِ لكن ..

وضعت يدها على فمي وقالت :

- اصمت أرجوك، لا تكمل يكفيني سماع شيئاً بعد ذلك ، لا أريد شيئاً من الدنيا لطالما أنت لا زلت تحبني

الشك كان يسيطر عليّ في تلك الأثناء كيف أقتنع مجدداً بأنها تحبني

بعد أن رأيتها تضحك بين يدي رجلٍ آخر بعد شهر ونصف فقط من انفصالنا

لا أصدق أنني هُنت على غارديينا بهذه السرعة ، أكاد أجن هذه الإنسانة التي جعلتني أشعر أنني لا شيء بالنسبة لها ، عادت اليوم وتريد مني أن أعود .. !

- اسمعيني يا غارديينا ، لم يكن سهلاً عليّ أن أراكِ تعانقين شخصاً آخراً وأن تنسيني بهذه السرعة ، وأعلم أنه لم يكن سهلاً عليكِ أن أقول لكِ بأنني لا أحبك

لكن الفرق أنني كنت أكذب في وصف مشاعري وأنتي كنتي صادقةً في مشاعرك يوم خطوبتك ، أنا أعرف غارديينا عندما تضحك من قلبها ، لقد كنت

تضحكين من قلبك ، ثم أنكِ عرفتِ أن والدكِ هو السبب وأنتي حاولت تصليح خطأي ولم تعطيني مجالاً ورفضتِ أن تكلميني حتى

في هذه الأثناء غارديناكانت تبكي بغزارة ولم تكن تتحدث أبداً

- أنا مستعدة أن ..

- غارديناا ، لا تقولي شيئاً تندمين عليه لاحقاً ، فكرامتك هي التي ستبقى في النهاية ، لا تنقصي منها من أجل أحد

مسحت دموعها وقالت :

- معك حق ، شكراً لك على كل شيء

- دعينا نفترق فراق الأقوياء لا فراق الضعفاء ، أريدك أن تضلين قويةً

- وأنا أريدك أن تبقى بخير ، هل تسمح لي بقبلة الوداع ؟

تقدمت إليها وبادرت في تلك القبلة وكانت النار تخرج من فم غارديناا

وتلتقي النار التي تخرج من صدري لا لينطفئان بل ليُخلدان بداخلي

كنت أعلم من داخلي بأنه اللقاء الأخير وكنت أنتظر مغادرتها بفارغ الصبر ،

و في نفس الوقت كنت أفعل كل ما بوسعي كي أطيل من عمر ذلك اللقاء كنت أتحجج بأي شيءٍ لأطيل من عُمر تلك الدقائق الأخيرة بشكل غريب

فتارةً كنت أطلب منها أن تفقد الغرفة قبل أن تغادر خوفاً من أن تنسى غرضاً من أغراضها ، وتارة أرتب لها شعرها وتاره أمسح دموعها ببطئ شديد

مثل أسير فلسطيني أثناء اعتقالهِ حيثُ طَلَب من عدوهِ

أن يسمح له بارتداء حذائه وتوديع أمه وشُرب كأسٍ من الماء من يد أمه

ليكسب بعض دقائق الحرية ويحفظ بعض الملامح من وجه أمه قبل اعتقاله .

من الطبيعي أن لا يخرج الإنسان من الحب كما دخل إليه ثمة خسائر ومكاسب فكيف إذا جاء هذا الحب بعد قلة من ~~الصداقة~~ الحماقة و لعل أبرز ما تغير أيضاً أنني كُنت إنساناً يخاف كثيراً على من يحبهم وصرت إنساناً يخاف كثيراً ممن يحبهم

وصلت إلى هذه القناعة عندما أدركت أن الذين نحبهم وحدهم القادرين على قتلنا وهم وحدهم العاجزين عن قتلهم ، يبقون كالجزء المظلم الذي في الذاكرة لا نريد تذكره لكن لا نستطيع نسيانه ليس لأننا نريد بقائهم بل لأنهم غير قابلين للغياب و الذاكرة تعشق الرجوع إلى الوراء في جميع الحالات ولكل العقليات ولكن هناك من ينتصر على ذاكرته وهناك من تنتصر ذاكرته عليه ، أما أنا بعد أن وقعت في الحب ونهضت مجدداً لم أُغير خطواتي وإنما غيرت تفكيري ونظرتي للحياة ،

فهناك الكثير من الأشياء تعمدت أن لا أراها لأنكِ كنتِ فيها

وعُدتُ أبحث عنها كي أراها عندما تذكرت بأنكِ كنتِ فيها

حتى ذلك الكلام لم أستمع إليه ؛ لأنه كان منكِ

ليس لأني لا أُطيق سماعك بل لأني خشيت أن لا تقنعني حجتك هذه المرة فينقطع آخر حبل بيننا إلى الأبد , لو كنت أعلم أن الحبل سينقطع إلى الأبد في كلا الحالتين .. لكنت استمعت إليكِ و تجنبت ما أنا فيه الآن يا حبيبتي لو كنت أعلم أن تلك الدموع كانت صادقة لما تجاهلتها في ذلك اليوم الأسود أعلم أنه ليس ذنبك أنني لا أثق بدموع النساء ربما هو ذنبي أنا .. لا أعلم و ربما انتِ كنتِ صادقةً , لكن من سبقوك كانو كاذبين

لذا سوف أسألك السماح فربما تجاربي السيئة التي تجرعتها من قبل جعلت مني تجربة سيئة , وأنتِ أولَ من تجرعها .

أوراقي كانت دائماً مكشوفة أمامها ولطالما أرتكبت أخطاءً كارثية وسامحتني ك أَن أُكلم غيرها مثلاً فتعلم في الأمر وتتصرف معي ببرودٍ شديد كأنما لم أفعل شيء لدرجة أنني كنت أشك أنها لاتعرف شيئاً، لن تكون هذه هي ردة فعلها

لو عرفت شيئاً كهذا ! أو أنها لاتحبني فلا تغار إن كلمت غيرها ، ما الذي يحدث ؟ لكن اكتشف لاحقاً أنها تتعمد ذلك لتوقعني في فخ الحيرة وتأنيب الضمير ، يجب أن أعترف أنه كان سلاحاً قوياً وفعال يفوق ألف عتاب ، العتاب كان دائماً يأتي متأخراً بعد أن تجعلني أضرب أخماساً بأسداس ..

وهذا ما عانينا منه بعد الفراق أيضاً من الصعب أن تحجب مشاعرك عن شخص يسكن بداخلك كل منا لم يكن لديه الكثير من الخيارات للتحايل على الآخر

لقد تقاربنا إلى حد صار كلن منا يعلم كيف يفكر الآخر وفيما يفكر

لذلك كل محاولات المراقبة التي فكرنا بها بعد الإنفصال كنا نتراجع عنها

خوفاً من أن أحَدنا يكشف الآخر فنحن وصلنا الى مرحلة نفكر فيها بعقل واحد

كلن منا كان يخشى أن يتوقعه الآخر كلن منا يتصرف وكأن الآخر يضع كاميرات لمراقبته فوق رأسه شيءٌ يشبه الرقابة الإلهية ، إنه جنون نعم هو الجنون بعينه

و بعد سنوات من الخوف قادني فضولي أو ربما شوقي لادخل إلى أحد حساباتها على الإنترنت وأعرف أخبارها فوجدت صورة طفلٍ صغير وتحتها تهاني كثيرة لقد أنجبت أولُ مولودٍ لها ...

كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي لأن الزمن قد توقف عندي في مرحلة معينة وظننت أنه توقف عندها هي أيضاً وكثيراً ما يحدث ذلك مع العاشق والغائب

فبدأت أواسي نفسي قائلا

- ربما فعلت ذلك كي تنساني أو ربما لتعاقب نفسها نعم هناك فتيات يفعلن ذلك كنت أريد اقناع نفسي بأية فكرة باستثناء فكرة أنها قد نستني أو تغلبت على حبها لي ، لكني أعترف بأنها في هذه المرة كانت أكثر مني شجاعةً وجُرأةً فهي أول من بادر باطلاق رصاصة الرحمة وقَتَلت ما تبقى من هذا الحب ربما حينها لم أكن أعلم ما معنى أن تكون عاشقاً لم أكن أفهم تلك المعادلة التي تربطُ بين الإنسان والإنسان وتفصل بين الروح والجسد

يصبح القلب مرهوناً لشخص ما كفارس يدخل المعركة بلا سيف ولا حصان فيُفاجىءُ بالهزيمة المتوقعة ! إنه لأمر مضحك ومحزن في نفس الوقت ..

كنتُ في أوائل العمر وكنتِ أيضاً في اوائله و خرجنا في أوائل العمر أيضاً لم نتأخر في الدخول الى الحب ، لكن أيضاً لم نتأخر في الخروج منه

كان يجب علينا عدم الدخول أو ربما على الأقل عدم الخروج بهذه السرعة

في الغالب ما يتعلمه الإنسان في الهزائم أكثر بكثير مما يتعلمه في الإنتصارات لكن في الحب الأمر مختلفٌ تماماً

هنا (في الحب) يتعلم الإنسان كيف يخترع مكاسباً زائفة ليخدع بها نفسه

وكيف يمكنه إكمال حياته وهو يتجاهل أن مكسبه الوحيد في الحب هو الهزيمة

لا أعلم لماذا لا زلت إلى هذه اللحظة أتكلم بالنيابة عنكِ

وأُكتب بالنيابة عنكِ وأقرأ ما كتبت لكِ بالنيابة عنكِ !

لا أعلم لماذا لا زلت اجمع بيننا في كل شيء ؟

لماذا عقلي الباطن لا يستطيع التخلص منكِ ، ربما كان يجب أن أتعلم منكِ

كيف انفصل عنك

كيف ادفنك وأنتِ لاتزالين على قيد الحب

كيف أنجو بمفردي ولا أفكر بكِ

كيف أقول "أنا" دون أن ألحقها ب"واو" وإسمك

كيف أكون طماعاً وأتمسك بكِ حتى الغرق

كيف أكون أنانياً و أختار نفسي ثم نفسي ثم نفسي

كيف أكتب هذه الرواية " بتوقيت قلبي" وليس بتوقيتك أنتِ .

ذاكرتي يا غاردي لم تعد كما كانت لقد أصبحت كثير النسيان

بالكاد تذكرت بعض التفاصيل التي كتبتها في هذه الرواية

كنت أمتلك ذاكرة قوية تحتفظ بأدق التفاصيل ، لكن كما تعرفين

دوام الحال من المحال ، وربما في قادم الأيام سأحتاج إلى قراءة هذه الرواية لأتذكر تلك التفاصيل المكبوتة المكتوبة ، لذا سأترك لنفسي فسحة من الحبر أعيش عليها و أتذكركِ بها لأتذكرني بكِ ، فأنا أتوقع المزيد من النسيان ولو أنني لا زلت أُراهن بأن نسيانكِ ضربٌ من المستحيل .

قبل أن أنتهي من كتابة الرواية بأيام قليلة مررت من جانب منزلي القديم وأكملت طريقي إلى دكانة الخالة فاطمة لأطمئن عليها ، فوجدت دكانتها مغلقة والغبار يملأ قفل بابها ، إنها مغلقة منذ مدة ليست قصيرة ، اتجهت نحو أحد الجيران ويدي على قلبي حيث كنت أتوقع الإجابة لكن كنت أدعو الله أن يكون توقعي في غير محله ، سألته متردداً :

- أين الخالة فاطمة ؟

- لقد ماتت منذ ثلاثة أشهر ..

لقد أقفلت روايتي قبل أوانها ، لقد أقفلتها بذات القفل الذي أقفلو فيه دكانة الخالة فاطمة ، اقفلتها والحزن يعصر مهجتي لأهديها إلى روح الخالة فاطمة .